

الخُطوة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ – قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ – مركزِ تُراثِ البصرةِ العدد (١٧) – السنة الخامسة .
جمادى الأولى ١٤٤١ هـ – كانون الثاني ٢٠٢٠م



لوحة تمثّل الحياة الطبيعيّة في أهوار البصرة

كلمة العدد

أصواتٌ خرساءُ، لا تصل الأذانَ، بل تتعالى فتدفعُ القوَّةَ الحيوانيَّةَ الشهوانيَّةَ العدوانيَّةَ الفتّاكَةَ في مجاري الغَرائزِ، فتتصاعدُ أبخِرَةٌ كثيفةٌ تعمي العَقلَ، وتشيعُ التحلُّلَ، فتبشِّرُ بالمصير الأليم، الذي ينتظرُ الراضينَ بالأفعالِ الدَّنيئةِ، فقاتلَ اللّهُ من أسَّسَ أساسَ الظُّلم والجور.

من عَهدِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام لمالك الأشْتَر:

إيّاكَ والدّماءَ وسفكَها بغير حِلِّها؛ فإنَّه ليسَ شيءٌ أدعى لنقمةٍ، ولا أعظمَ لتَبِعَةٍ، ولا أحرى بزوالِ نِعمة، وانقطاعِ مدَّةٍ، من سَفكِ الدّماءِ بغيرِ حقِّها، واللّهُ سُبحانَه مُبتدئٌ بالحُكمِ بينَ العِبادِ فيما تَسافَكوا من الدّماء يَومَ القِيامَةِ، فلا تقوِّيَنَّ سلطانَكَ بسَفكِ دَمٍ حرامٍ؛ فإنَّ ذلكَ ممّا يضعفُه ويوهنُه، بل يزيلُه وينقلُه.

وَلا عُذرَ لكَ عندَ اللّهِ ولا عندي في قَتلِ العَمدِ؛ لأنَّ فيه قَوَدُ البَدَن[1].

١- بحار الأنوار:٣٣/٦١١.







الخطوة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراث البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبة العبّاسيّة المُقدَّسة - قسم شُؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة - مركز تُراث البصرة. العدد (١٧) - السنة الخامسة. جمادى الأولى ١٤٤١هـ - كانون الثاني ٢٠٢٠م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

الإشراف العـام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيس التحريـر
الشّيخ شاكر المحمّدي

مدير التحريـر
ياسين يوسف اليوسف

سكرتير التحريـر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـر
الشيخ مُدرك الحسّون - د.أشرف عبد الحسن
علي سلمان كنعان - عبد العزيز مسلم -
ولاء سباهي

الإشراف اللغـوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

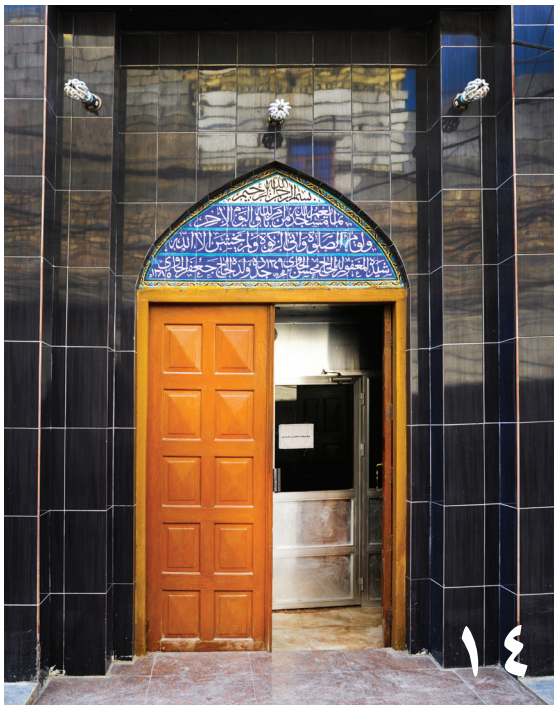
التصوير
أحمد عبد العبّاس -علي صادق مهدي -
أمير جاسم العاشور

التصميم والإخراج الفني
محمّد شهاب العلي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩ - ٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣
basrah@alkafeel.net
ص.ب/ ٣٢٣
الموقع الإلكتروني
mk.iq

المشاركون في هذا العدد

الشيخ علي الغزّي - الشيخ الدكتور محمود العيداني - أ.د. شكري ناصر عبد الحسن - د. سلمى الهاشمي - د. صدّام فهد الأسدي - الأستاذ كريم علاوي - خزعل الأسدي - الشاعر حسن سامي العبد الله - إيمان طالب - حسين علي أيوب - الأستاذ شوقي العبادي.



تنويه:
ماننشره هنا كلُّ ما يُلفت، وليس بالضرورة أن نكونَ موافقين عليه. كن شجاعاً، وأبْدِ رأيَك.

اقرأ في هذا العدد..

جامعُ الحاوي – أحدُ المساجدِ التأريخيّةِ القديمةِ البارزةِ في محافظَة البَصرَة ١٤

أهوارُ الجَنوب: مصادرُ لإنعاشِ سِياحةِ البلَد واقتصادِه ١٦

رَجُلُ المُرور: علي كريم رضّاوي في سَّطور ٢٦

مَعركَةُ الجَمَل: قراءةٌ في تَحديدِ المَوقعِ – مكانُ المَعركَةِ – القِسمُ الثّالثُ ٣٠

مُعْجَمُ الجَمْهَرَة، ثاني عَملٍ موسوعيٍّ في تاريخِ العَرَب ٣٤

كبيرُ قُريشٍ في البَصرَة (عَبدُ اللّه بنُ هاشِم المِرْقال) ٣٨

وَصفُ البَصرَة، في رِحلةِ سيزار فيدريجي بين حَلَب والبَصرَة (١٥٦٣ – ١٥٨١م) ٤٤

مخطوطةُ(قَلائِدُ الغِيد) ٤٨

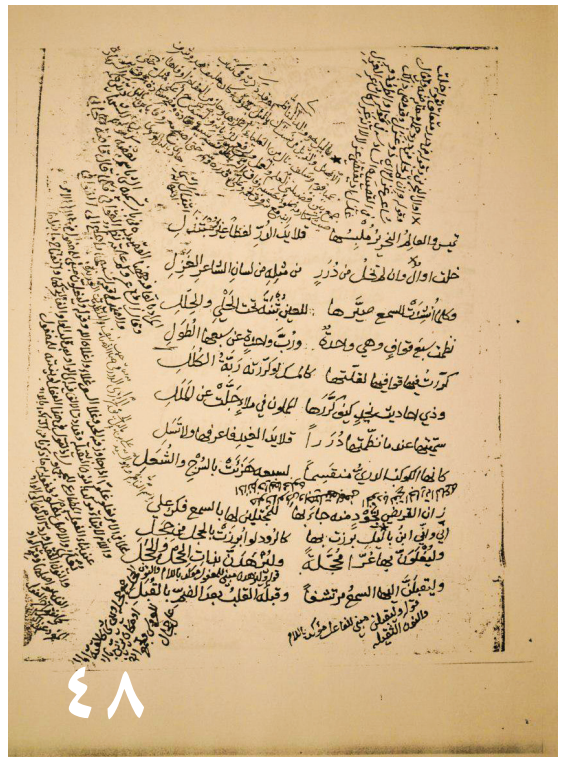
إبراهيم الوائليّ البصريّ – أديباً وناقِداً ٦٦

وَحيـداً يتوغَّلُ في البَياضِ ٧٨

لِكَيْ لا نَنسـى... كانَ بَصْرِيّاً ٧٩

الشّهيدان السّعيدان: خُنصُر مَنخي العيساويّ، وولده: رياض ٨٧









مركز تراث البصرة يشارك في معرض البصرة السنويّ الثاني للكتاب

شارك مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدسة في معرض البصرة السّنوي الثّاني للكتاب الذي أقامته المكتبة المركزية العامة في جامعة البصرة برعاية رئاسة جامعة البصرة ابتداءً من يوم الاحد ٢٠٢٠/٢/٢٣ ولمدة عشرة أيام، وجاءت مشاركة المركز في إطار مشاركاته المستمرة في معارض الكتاب لغرض نشر ثقافة القراءة في أوساط طبقات المجتمع كافة حيث تم عرض باقة مميزه من نتاجات المركز الفكرية الخاصة بالتراث البصري، ومجموعة نادرة من الوثائق والمخطوطات البصرية.

كما جاءت المشاركة لإدامة التواصل الثقافي بين المركز وبين الاوساط الاكاديمية العلمية. يذكر ان جناح مركز تراث البصرة شهد إقبالاً متميزاً من قبل شريحة المثقفين والمهتمين بمثل هذه المعارض الثقافية.











مَركَزُ تُراثِ البَصرَة يُشارِكُ في مَعرَض الكِتابِ القانونيِّ التاسع

بدعوةٍ كَريمةٍ من اتّحاد الحقوقيّينَ العراقيّينَ في البَصرةِ، شاركَ مَركَزُ تُراث البَصرَة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية في العتبة العباسية المقدسة، في مَعرَض الكِتابِ القانونيِّ التاسع، الذي نظّمه الاتحادُ برعاية رِئاسةِ محكمةِ استئنافِ البَصرَةِ الاتّحاديَّة، يوم الأحد : (١٢ / ١ / ٢٠٢٠)، الموافق: (١٦ جمادى الأولى /١٤٤١ هـ)، واستمر لمدّة خمسة أيّام.

وجاءت مشاركةُ المَركَزِ في هذا المعرض مشاركةً من نوع خاص؛ إذ شارَكَ بجناحٍ خاصٍّ به، تضمَّنَ عرضَ الإصداراتِ المختلفة والمتنوّعة، التي تحمل عمقَ التراثِ البصريِّ الأصيل، فضلاً عن مجموعة من صور المخطوطات والوثائق التراثية.

وقد كانت ردود الأفعال إزاء مشاركة المركز ـ ولله الحمدُ ـ متميِّزةً بتميُّزِ المشاركةِ وحجمِها؛ فقد أثنى جميعُ من حضر الجناحَ الخاصَّ بالمركز على نتاجاته المعروضة، فضلا عن شُكرهم لجميع فعاليّات المركز، مثمِّنين دَورَ المركز الفاعلِ في إحياءِ تُراثِ البَصرَة، ونفضِ الغُبار عن وَجهِ المُحافظة المِعطاء.

مركزُ تُراث البَصرة يقيمُ مجلسَ عزائِه السنويّ بمناسبةِ استشهادِ الصِّديقةِ الطاهرةِ فاطمةَ الزَّهراء عليها السلام





بمناسبةِ استشهادِ بَضعةِ الرّسولِ صلى الله عليه وآله، وقرّةِ عينِه، الزهراء البتول عليها السلام، أقامَ مركزُ تُراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة، مجلسَ عزائِه السنويَّ، يومَ الخَميس، (١٣ / جمادي الاولى، لعام ١٤٤١هـ - ٩ / ١ / ٢٠٢٠ م)، بحضور الخطيب الحسينيِّ، الشيخ محمّد سعيد (أبي سجاد)، الذي بيَّن الدورَ الكبيرَ لهذه السيّدةِ العظيمةِ في بناءِ قواعدِ الإسلام، والدفاع عنهُ، وتثبيتِ أركانه.

مجلّة (تراثُ البصرةِ)
المحكّمةُ تستأنفُ اجتماعَها الدّوريَّ



بحمدِ اللهِ تعالى، وبتوفيقٍ منه، عَقدتْ هيأةُ تحرير مجلّة (تُراث البصرة) المحكّمة، يوم السّبت (٢٠٢٠/١/١١م)، الموافق: (١٥/ جمادى الأولى/١٤٤١هـ)، اجتماعَها الدّوريَّ الـ(١٢٣)، وذلكَ في مقرّ المركز في منطقة البراضعية.

في بداية الاجتماع، تكلّم سماحةُ الشيخ الدكتور محمود العيداني عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام باختصار؛ وذلك بمناسبة ذكرى استشهادها عليها السلام، مشيرا ـ بعدَ تعزية الحاضرين ـ الى أنّها ـ كسائر المعصومين عليهم السلام ـ مدرسةٌ كاملةٌ، نتعلّم منها، ونستفيد منها الدروس والعبر، لا سيما ما يرجع الى (البصيرة) التي كانت تتمتع بها، وما أحوجنا اليوم الى هذه الصفة على مستوى الأفرادِ والشعوب والحكومات.

ثمّ تكلّم السيدُ مديرُ تحرير المجلّة، الدكتورُ عامر السّعد، فشكرَ الحاضرينَ على حضورهم، وعلى ما يبذلونه من جهود قيمة في سبيل إحياء تراث البصرة، حاثّاً الحاضرين على مواصلة تطوير الجهود والفعاليات، لا سيّما بالنسبة الى ما يرجع الى مجلّة تراث البصرة.

ثم تمّت مناقشةُ جملةٍ من الأمور التي تخصّ المركزَ والمجلّة، منها:

- استعراضٌ عامٌّ لأنشطةِ المركز، وتطوّر عمله، وإصداراته القريبة.
- مناقشةُ استئنافِ إقامةِ النّدوات الحواريّة والثقافيّة في المركز.
- الاطّلاعُ على سَيرِ عَمل المجلّة ورصيدِها من البحوث، وتكليفِ الأساتذةِ بجملة من الأنشطة الدّاعمة لها.
- مناقشةُ إمكانِ جعلِ العَدد العاشرِ من المجلّة عَدَداً خاصّاً بموضوعٍ محدَّد .
- تأكيدُ ضرورة استجلابِ البحوثِ لرفدِ المجلّة، مع طرح إمكانِ تفعيلِ الاستكتابِ لذلك.
- مناقشةُ الإجراءاتِ اللّازمةِ لأجل تفعيلِ إدراجِ المجلّةِ ضمنَ موقع وَزارة التعليم العالي والبحث العلميّ.
- توزيعُ العددِ السّابعِ من المجلة على أعضاء هيأة التحرير، والعملِ على تنظيم إهداء الأعداد السّابقة إلى الكلّيات المكتبات والمعنيّين.



مركزُ تُراث البَصرة يشاركُ في المَهرَجان السنويِّ السَّادس لمؤسَّسَة اليَتيمَ الخيريّة

تزامُناً مع العامِ الدراسيِّ الجديد، وبدعوةٍ كريمةٍ من مؤسّسة اليتيم الخيريّة / فرع البصرة، شاركَ مركزُ تُراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسيّة المقدّسة، بالمهرجانِ السنويِّ السادس، الذي أقامته المؤسّسةُ تحت شعار: (عَزاؤُنا بالإمامِ الحُسين عليه السلام سرُّ تفوُّقِنا)، الذي أقيم على قاعة مبنى المحافظة الجَديد، يومَ الثلاثاء: (٢٤محرم الحرام / ١٤٤١هـ - ٢٤ / ٩ /٢٠١٩ م).

وقد شَهِد هذا العامُ تكريمَ ما يقرُب من (١٠٠) طالبٍ وطالبةٍ من المتفوّقين المسجَّلين لَدى المؤسّسة.

ومن الجدير بالذكر، أنَّ مؤسّسةَ اليتيم الخيريّةَ يرعاها مكتبُ المرجع الدينيّ الكبيرِ، السيّد محمّد سَعيد الحكيم (مُدَّ ظلُّه)، التي ترعى أكثرَ مِن تسعينَ ألفِ يتيمٍ في البَصرة.





مركزُ تراثِ البصرةِ يشاركُ في الحفلِ السنويِّ لولادةِ السيّدةِ الزهراءِ عليها السلام

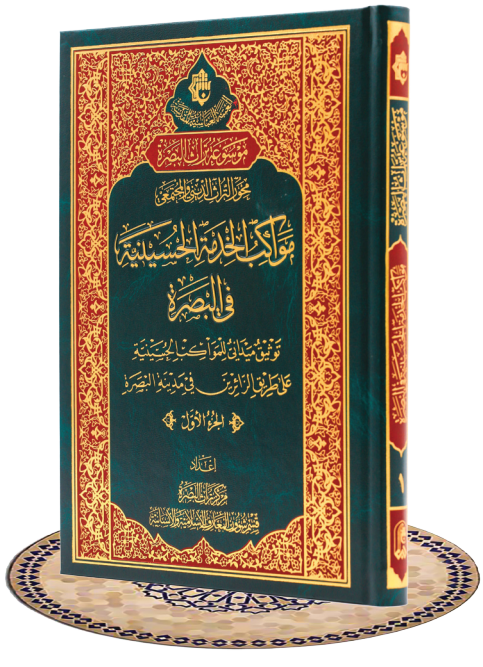
لمناسبة ذكرى ولادة سر الوجود ، سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وبدعوة كريمة من مؤسسة قمر بني هاشم عليه السلام، شارك مركز تراث البصرة التابع لقسم الشؤون المعارف الاسلامية والانسانية في العتبة العباسية المقدسة، في الحفل السنوي لهذه الولادة الميمونة في يوم السبت الموافق ٢٠٢٠/٢/١٥م، المصادف ٢٠/ جمادي الاخرة لعام ١٤٤١هـ، الذي تقيمه المؤسسة على قاعة المركز الثقافي النفطي في محافظة البصرة ، وتخلل الحفل توزيع جوائز مسابقة الزهراء الثانية عشر لحفظ الخطبة الفدكية مع قبسات من وصايا سماحة السيد السيستاني دام ظله للشباب، وسط حضور واسع من المؤمنين .





صَدَرَ حديثاً

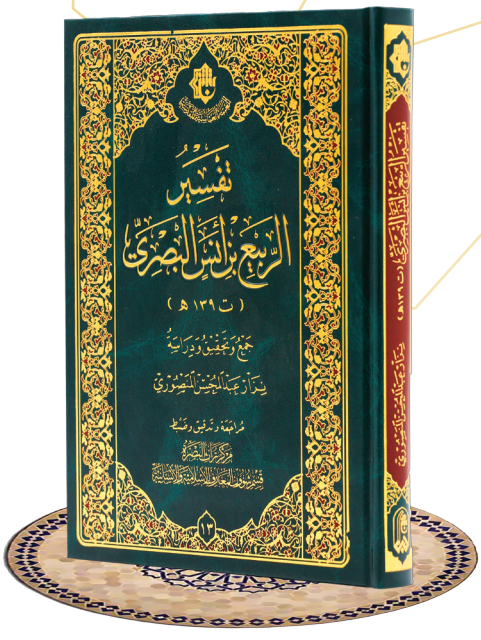
بحَمدِ اللهِ وتوفيقِه، وجهود المختصّين، صدرَ عن مركزِ تُراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسيّة المقدّسة مجموعة من الكتب، منها:



١. مواكبُ الخِدمةِ الحسينيَّةِ في البَصرة/ الجزء الأوّل

يُعدّ هذا الكتابُ من الكُتب الوثائقيّة المصوّرَة، التي عمل المركزُ عليها ميدانيّاً؛ إذ وثّق الجهودَ الكبيرةَ التي بذلها ويبذلها خدّامُ المواكبِ الحسينيّة في أيّام زيارةِ الأربعين بشتّى أنواعِ الخدمةِ، كلٌّ من موقعِه واختصاصِه.

وقد شَمَلَ التوثيقُ المواكبَ في أقصى نقطة في جَنوب محافظة البصرة (رأس البيشة)، وصولاً الى آخرِ المواكبِ في شَمالِ المُحافظة، وكذا تطرّقَ الكتابُ إلى جُهد المؤسَّساتِ القرآنيّة التي كان لها دورٌ كبيرٌ في استثمارِ هذهِ المسيرة المليونيّة؛ بتعليم الزائرين كيفيّة القراءةِ الصحيحةِ لسورةِ الفاتحةِ وقصارِ السّور القرآنيّة المباركة.



٢ـ تفسيرُ الرّبيع بنِ أَنَسٍ البَصريّ (ت١٣٩هـ)

وهو من جَمع وتَحقيق الدكتور نزار عبد المحسن المنصوريّ، ويحملُ في طيّاته محاولةً لجمع جُهد هذا العالم البصريّ التفسيريّ، وتسليطِ الضوء على آرائه وإفاداته، التي ألقاها في مجالسَ متعدّدةٍ في تفسير جملة من الآيات القرآنيّة الشّريفة، فيدخلُ بذلك ضمنَ أوائلِ المحاولات التفسيريّة للقرآنِ الكريم، التي كانت تُنسَجُ خيوطُها في البصرة من خلال ابن عبّاسٍ ونحوه ممّن تعاطى هذا الجهد، فنأملُ أن تكونَ للقرّاء الكرام قراءة ماتعةً في صفحاتِ هذا العمل.



٣ـ قناديلُ النّخيل: أُدباء بصريّون راحِلون / الجزء الأوّل

وهو من تأليف الأستاذ محمد صالح عبد الرِّضا، الذي يستعرض في هذا الكتاب نبذةً بسيطةً هادفةً ومركَّزةً عن أبرز الأدباء البصريّين، لُيقدّم تجربتَهم الأدبيّة الثريّة النابضة، بأسلوبٍ حواريٍّ جميل.

لقد كان جهدُ المركز في إنجاز هذا العمل جادّاً وكبيراً؛ إذ كانت مادّةُ هذا الكتاب لا تعدو مقالاتٍ متناثرة في عددٍ من الصُّحف، فكان ابتداءُ الجُهود ـ بعدَ جمع المادّة المطلوبة ـ تنضيدَ المادّة كاملةً، ورصفَ حروفها إلكترونيّاً، ثمّ العمل على مقابلتها مع الأصل، واستحصال الصُّور المناسبة للشخصيّات، ثم إخراج الكتاب طباعيّاً بما يتناسب ومضمونه، وأخيرا مراجعته لغويّاً مراجعة نهائيّة.



جامعُ الحاوي

أحدُ المساجدِ التأريخيّةِ القديمةِ البارزةِ في محافظَةِ البَصرَة

وحدة الإعلام

تفتخرُ البلدانُ بإرثها الحضاريِّ ومعالمِها التّاريخيّةِ القديمة، وتسعى جاهدةً للحفاظِ عليها وعلى شكلها المعماريِّ، وتنقله للأجيالِ جيلاً بعد جيل؛ لأنّه يشكّل هويّةَ المجتمع، وخصوصيّتَه التي تميّزُه عن سائرِ المُجتمعات، ويُعدُّ بمنزلة المنهجِ الذي يُمكن دراستُه والتَّعرّفُ من خلاله على تاريخ تلكَ البُلدان.

وقدْ شكّلَ التّراثُ الإسلاميُّ في كثيرٍ من المجتمعاتِ جانباً مهّماً، وتميّزَ بالعمارة، كبناءِ وتأسيسِ المَساجِد، فأصبحت إحدى الرموزِ التاريخيّةِ الشامخة، حتّى أخذتْ تملأُ الأمصارَ والمُدن الإسلاميّةَ، ومدينةُ البصرة كانت – وما تزال– تزخرُ بهذا الموروثِ المهمّ، كما امتازت بقدَمِ مساجدِها، ومنها: (جامعُ الحاوي).

تأسيسُ الجامعِ، وأهمّيتُه، وموقعُه

يُعدُّ جامعُ الحاوي أحدَ المساجدِ التاريخيّةِ القديمةِ البارزةِ في محافظةِ البَصرة، اختزَنَ بينَ جَنَباته تاريخَ المدينةِ لعدّة أجيال؛ إذ يمتدّ عُمره إلى ما يقربُ من (١١٠) أعوام تقريباً؛ فقدْ بُني في عام (١٣٢٩هـ – ١٩٠٨م)، علىٰ مساحة تقدَّر بـ(٣٢٠م٢).

يقعُ الجامعُ في منطقة التَّميميّة، مقابلَ محلّة القشْلَة، التي كانتْ تُسمّى – سابقاً– محلّة (الأمير عليّ)، قربَ جسرِ الخضّارة، وقدْ تمّ إطلاقُ اسمِ (الحاوي) عليه نسبةً إلى مؤسِّسه الحاج (مُحسن الحاوي).

وأمّا داعي التأسيس، فهو افتقارُ المنطقةِ آنذاك إلى المَسجِد؛ إذ ليسَ فيها مسجدٌ، فارتأى الحاجُّ (محسن الحاوي) تخصيصَ منزلِه لإقامةِ مسجد للمحلّة، وتولّى بنفسه رعايةَ شؤونه، ثمّ بعدَه نجلُه المرحومُ الحاجُّ (جعفر الحاوي)، بعدها، آلت مسؤوليّةُ إدارة شؤون المسجدِ إلى ولده الحاجّ (صادق جعفر الحاوي).

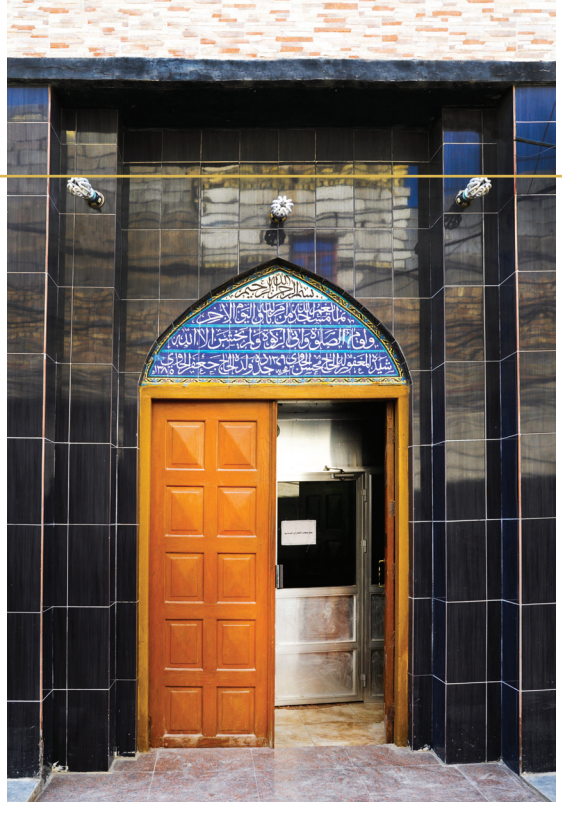
أنشطةُ المَسجِد

فضلاً عن كون الجامعِ مكاناً لإقامة الصّلاة اليوميّة والدعاء إلى الله تعالى، فهو يحتضنُ أنشطةً دينيّةً واجتماعيّةً كثيرة، منها: إقامةُ الدّورات القرآنيّة، وإقامةُ المجالسِ الحُسينيّة، لتجديدِ الولاء لمحمّد وآل محمّد عليهم السلام، وتسليطِ الضّوءِ على سيَرِهم العطرة



المرحوم الحاج محسن الحاوي





المباركة، في مناسباتِ ولاداتهم وشهاداتهم عليهم السلام.

مَراحلُ المَسجد العُمرانيّة

مّر الجامع منذُ تأسيسه بعدّة مراحل عمرانيّة؛ إذ تم بناؤه أولاً من مادّة الطين والقصب على يد الحاجّ (محسن الحاوي)، وبعدَ مدّة من الزمن، تّم إعادةُ البناء على يد الحاجّ (جعفر الحاوي)، ثُمَّ تولّى أحدُ المحسنين (وهو أبو وسيم) إعادةَ البناءِ الداخلّي والخارجيّ للجامع.

ويضمّ المسجدُ مكتبةً خاصّةً سُميّت باسم الجامع، تحتوي على مجموعة من الكتبِ الدينيّة والعلميّة، ويحتوي الجامعُ – أيضاً – على مُغتَسَلٍ، ومنارةٍ بارتفاع (٧) أمتار، بُنيت من الحَديد.

أئمّةُ الجَماعَة، وأبرزُ المؤذّنين والخَدَم

تعاقبَ على إمامَة الجَماعة في المَسجد كلٌّ من: الشيخ عبد الحسين المظفّر، والسيّد عبد العزيز الشَّرع، والشّيخ عبد الشهيد الأسديّ، والسيّد أحمد الجابريّ.

وأمّا أبرزُ مَن خدم في المسجد فهو: السيّد محمود أبو وسيم، والحاجّ عبّاس، والحاجّ علاء الحاوي، والحاجّ حمادي (أبو فارس).

وأما أبرزُ المؤذّنين في المسجد، فهو المؤذّن الأستاذ (جاسم).

أبرزُ الشّخصيّاتِ العُلَمائيّة، وأبرزُ أعلام المنبرِ الحُسينّي التي زارت المسجد

إذا أردنا التطرّقَ إلى أبرزِ الشّخصيّات العلمائيّة التي زارتْ المسجدَ، فالقائمةُ تطول، ولكنّنا سنذكرُ بعضها، فمِنَ الشّخصيّات البارزة التي زارتْ المسجدَ الدكتور الشّيخ (أحمد الوائليّ)، و الشّيخ (باقر المقدسيّ).

وأمّا أعلامُ المنبرِ الحسينيّ، فقدْ قرأ مِن على منبرِه: الشّيخ محمّد البيضانيّ، والشّيخ ناجي الساعديّ، والشّيخ وارث الساعديّ، والشّيخ باسم البديريّ، والسيّد شعيب السّويج، والشّيخ عبد المنعم المشكور، والشّيخ نجرس المالكيّ، والشّيخ عمّار الشتيلي، وآخرون.

خاتمة

تعرّضَ المسجدُ لكثيرٍ من المُضايقات الأمنيّة على مختلف الأصعدة؛ كونَه من المساجد المؤثّرة في استقطاب الشّباب، فكانَ محلَّ أنظارِ الجهاتِ الأمنيّة في ذلك الوقت، لكنّه بقيَ صامداً يؤدّي رسالتَه على الرُّغم منْ كلّ المضايقات التي مرّ بها.

تلكَ هي بيوتُ الرّحمن، جعلَها اللّه تعالى مَهبطاً للأفئدة، وبلسماً للأرواح، تحطُّ رحالهَا فيها لتغتسلَ مِنْ دَرَن الذنوب، فتصفو القلوبُ، وتستنيرُ بالدّعاء والطاعةِ وذكر اللّهِ العظيم.



أهوارُ الجَنوب: مصادرُ لإنعاشِ سِياحةِ البلَد واقتصادِه

خزعل الأسديّ

التّسمية

تُطلقُ تسميةُ (الأهوار والمستنقعات) على مجموعة المُسَطَّحات المائيّة، التي تغطّي الأراضي المنخفضةَ الواقعةَ في جنوبيّ السّهل الرسوبيِّ العراقيّ، وتكونُ على شكل مثلّث تقع مدنُ العمارة والناصريّة والبصرة على رؤوسه، وتتّسعُ مساحةُ الأراضي المغطاة بالمياه وقتَ الفيضان في أواخر الشتاء وخلالَ الربيع، وتتقلّصُ أيّام الصّيف.

وغالباً ما يميَّزُ بين الهور والمستنقع على الرّغم من عدم وضوح الفرقِ بينَهما داخلَ منطقة الأهوار، وكون مصطلح الأهوار هو السائدُ فيها؛ فالهورُ ـ بنظر هؤلاء ـ بقعةٌ من الأرض الرّطبة الليِّنة، تغطّيها المياهُ كُليّاً أو جُزئيّاً، وترجعُ غراوةُ أرضِ الهور إلى طبيعةِ تربته غيرِ المساميَّةِ كالصَّلصالِ مثلاً، وإلى سوء الصّرف، أمّا المستنقعُ، فهو أرضٌ غَدِقةٌ تغمرُها المياهُ بصفةٍدائمة، وأهمُّ ما يميِّزها هو الغطاءُ النباتيُّ الشجريُّ الواضحُ في أغلبِ جِهاتها (غابات المستنقعات المائيّة)[١]، مثل المانجروف والسَّرو، بينما يكونُ الغطاءُ النباتيُّ في الهور من نوع الحَشائش (المروج المائيّة)[٢]، مثل: القَصَبِ والبرديّ[٣].

وأطلقَ العربُ الأوائلُ على المناطق اسمَ (البطائح): جمع بَطيحَة؛ لأنَّ المياهَ تَبَطَّحَت فيها، أي: سالَت واتَّسَعَت في الأرض[٤]، وكانَ ينبتُ فيها القَصَب.

المَوقعُ والمجاميع والمساحة

تقعُ منطقةُ الأهواز بين دائرتَي عَرض (٣٠٥٠ و٣٢٥٠) درجةً شِمالاً، وبينَ الحدود الإيرانيّة من



الشرق وحافّةِ الهضبةِ الغربيّة من الغَرب[٥].

تُقسَّم الأهوارُ جُغرافيّاً إلى مجموعَتَين:

الأوّلى: مجموعةُ الأهوار الواقعةِ شَرقيَّ نهر دِجلةَ وأهمُّها: (الحُوَيْزَة)، التي تبلغُ مساحتُها داخلَ العِراق نحو (٢٨٦٣كم٢).

الثانية: الأهوارُ الواقعةُ غربيَّ نهرِ دجلة وأهمُّها: هور (الحمّار)، الذي تبلغُ مساحتُه نحو (٢٤٤١كم٢).

ويمكنُ إضافةُ مجموعةٍ ثالثةٍ هي: أهوار الفراتِ، التي تمتدُّ من الخُضر إلى الكِفْلِ بين فَرعَي الفُرات (الحلّة والهنديّة)، وتتألَّفُ من عدّة أهوارٍ صغيرة[٦].

وأمّا إجماليُّ مساحةِ الأهوارِ، فقد تراوَحَت تقديراتُها بين (٩٠٠٠ و٢٠٠٠٠كم٢)، وتبلغ مساحتُها بحسب هذه الدراسة ـ على أساس وحداتها الإداريّة الصغرى، البالغة (٢٠) ناحية* ـ نحو ١٦٠٠٠كم٢[٧].

أساسُ الأهوار

ويذهبُ بعضُ الباحثين إلى أنَّ أهوارَ ومستنقعاتِ جنوبيّ العراق ما هي إلّا بقايا بُحَيرَةٍ كبيرةٍ كانت تشغلُ السّهلَ الرسوبيَّ العراقيَّ[٨]، الذي يُعدُّ جُيولوجيّاً أحدثَ من سائرِ مناطقِ سطحِ العِراق[٩]، بينما يرى البعضُ الآخرُ أنّ القسمَ الأسفلَ من السَّهلِ الرسوبيِّ كان مغطّىً بالمُستنقعات منذُ زمن السومريّين[١٠]، الذين ساهموا بتجفيفِ أجزاء منها، ممّا ساعدَ على ظُهور السُّهول التي نشأت عليها القُرى، واستثمارِ أراضيها بالزراعة، فاستمرَّت غنيّة بمزارعها حتّى عهد الملكِ الساسانيِّ كِسْرى (أبرويز)[١١]. وأنّ منطقةَ



الأهوارِ كانت مأهولةً بالسكّان منذ الألفين: الخامسِ والرابعِ قبل الميلاد، وربّما اشتُقَّت كلمة (السّيامر) التي تطلق على جميع قبائل منطقة (المدينة) من اسم السومريّين[١٢].

وفي عهد الملك الفارسي (أبرويز) وقعَ فيضانٌ لنهرَي دجلة والفرات، عَجزَ عن سدّه، فتبطَّحَ الماءُ، وابتعدَ سكّانُ المناطق التي تسبَّبَت المياه في خراب دورهم[١٣]، وقد أشار الجغرافيّون العربُ إلى سبب تكوُّن الأهوار، وأنّه يعود إلى فيضانٍ عظيمٍ لنهرِ دجلة حدثَ في أواخر القرن الخامسِ الميلاديّ، وكذا حدثَ فيضانٌ آخرُ لنهرّي دجلة والفرات في حدود عام (٦٢٨م)، تكوَّنت على أثره (بقاعٌ بطيحةٌ دائمةٌ) في الأراضي التي تشغلها الآن منطقةُ الأهوار[١٤].

وكانت البَطيحةُ العُظمى طوال القرون الوُسطى تتبطَّحُ في رُقعةٍ يبلغ طولهُا ٣٢٢٠كم٢، وعرضُها ٨٠ كم٢، وتمتدُّ جنوباً حتّى تقتربَ من مدينة البصرة[١٥]. تتخلَّلها ممرّاتٌ مائيّةٌ خاليةٌ من القَصب والبرديّ، وكانت صالحةً لسَير السّفن، وحاليّاً تسير فيها القواربُ الصغيرةُ والبخاريّة.

نَمَطُ إنسانِ منطقَة الأهوار

أمّا إنسانُ منطقة الأهوار، فيتميَّز بنَمَطٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ وحضاريٍّ معيَّن، ونباتاتُهُ وحيواناتُهُ بخصائصَ حياتيّةٍ متميّزة، ولأراضيه جغرافيةٌ فريدةٌ.

وعلى الرّغم من استقرار سكّان هذه المنطقة، إلّا إنَّ قِسماً منهم لا يستقرون دائماً في مكان واحد؛ إذ



يعيشون على جُزُر مُتناثرة .

وتعدُّ تربيةُ الجاموس الحِرفةَ الرئيسةَ لهم، يتنقَّلون بها من مكان لآخرَ ضمنَ محيط قبيلتِهم؛ تبعاً لطُغيان المياهِ وقتَ الفَيَضان أو تراجعِها في الصيف[١٦].

ويكثر مربّو الجاموس في هور (الحويزة)، وفي ما بين (القُرْنة) و(المدَيْنة) مع امتدادَين ثانويّين، أحدُهما يمتدُّ باتّجاه أهوار (الغرّاف) السُّفلى، والآخرُ باتجاه هور الحمّار[١٧].

وقد بلغَ عددُ الجاموس في عَقد الثمانينيّات من القرن العشرين نحوَ (٣١) ألفَ جاموسةٍ، تناقصَ عددُها الى ما بين (١٥ و١٧) ألفَ جاموسة في عَقد التسعينيّات، وفي عام ٢٠٠٠م، لم يبقَ منها سوى (٣٠٠٠) جاموسة، وبعدَ سقوط نظام الحكم في عام (٢٠٠٣م) تزايد عددُها الى نحوِ (٥٠٠٠) جاموسة، فضلاً عن التزايد في عَدَد الطيور المائيّة والأسماك[١٨].

وتوجدُ عند حافّات الأهوار جماعاتٌ سكانيّةٌ أخرى تمتهنُ زراعةَ (الرزّ) و(الذُّرة) و(الدُّخن) في الأراضي المحاذيةِ للأهوار، وضفافِ الجداول والقَنَواتِ حيثُ تتوفّر المياه، كما يُنتجُ (الشعيرُ) و(التّمورُ) في الأراضي المجاورة لجداول المشرَّح والكَحْلاء والمِجَر الصغير والمِجَر الكبير وفيما بينَ القُرنة والمَدَيْنة، في حين ينحصرُ إقليمُ القَصب في مجرى الفُرات القديم*، فيما بين المدينة وكَرْمَة بني سعيد، وبمحاذاة الأهوار الدائمة على طَرَفيه[١٩]، وتقدَّرُ مساحةُ هذا الإقليم بنحو (١٨٠٠كم٢)، ويتراوحُ ارتفاعُ القصب فيه بين ١,٥ -٩م٢.

وكذا تُمارس حرفةُ صيد الأسماك والطيور في جميع الأهوار، وتعدُّ صناعة الحصران (من الجولان) والبواري من (القصب) من الصناعات الأساسيّة في منطقة الأهوار.

وقد تأثَّرت الزراعةُ سلباً بعمليّات تجفيف مساحاتٍ





من تلك الأهوار، ولا سيّما الخُضروات، وأهمها الطماطمُ، وعلى سَبيل المثال، بلغَت مساحةُ اليابس في أهوار محافظة البصرة أكثر من ١٨٪ من مساحة تلك الأهوار عام ١٩٨٣م؛ إذ جُففت أغلبُها من قِبل المؤسَّسة العامة لنفطِ الجَنوب[٢٠].

نَمَطُ توزيع السكّان

فضلاً عن نَمط التوزيع المتناثر للسكّان في جُزر الأهوار، يُشاهدُ نمطٌ آخرُ يتمثّلُ بالتوزيع الخَطّيّ لهم في الأَجزاءِ المرتفعة فوقَ تربة كُتوف الأنهار، وهي تربةُ الضّفاف العالية، ويأخذُ التوزيعُ الجغرافيُّ لعدد من القرى صورةً طوليّةً على شكل مجموعَتين:

الأوّلى: المجموعةُ الشرقية

التي لا تبعد كثيراً عن الضفّة الغربية لنهر دجلة.

الثانية: المجموعة الغربية

التي تمتدُّ بين منطقة (الشرموجيّة) في جهة الشمال، وبين قضاء (الجبايش) في الجهة الجنوبية.

ويرجع سببُ كثرة القرى في هذه المنطقة إلى قلّةِ عُمق مياه الأهوار فيها، في حين تخلو منطقةُ هور (السّناف) و(الحمّار) الدائميّة من أمثال هذه القرى[٢١].

ومن القرى المنتشرة في الأهوار (الصّحَيّن)، التي تقعُ فوق جزرٍ اصطناعية، وتمتدُّ بشكل بيضويٍّ، وقريتا (الجدي) و(الكبيبة)[٢٢].

ولعلَّ شهرةَ قضاء (الجبايش) بَلغت الآفاقَ؛ باعتبارها قريةً كبيرةً من قُرى الأهوار الاصطناعيّة، حيثُ ينتشر سكّانها فوق (١٦٠٠) جزيرة مستحدثة[٢٣].

ويرجعُ أصلُ تسمية (الجبايش) إلى (الكَبائس): جمع كَبيسَة، من الكَبْس، أي: الضغط، ثمَّ قُلبت الكافُ إلى جيم، والهمزةُ إلى الياء، والسينُ إلى الشين[٢٤].

ويسكنُ أغلبُ أبناء (الجبايش) الذين هاجروا منها عند حافّة هور (الحمّار) الجنوبية في عدّة قرى تعتمدُ على استخراج الملح[٢٥]، فضلاً عن الحِرَف الأخرى، التي يمارسُها سكّان الأهوار.



دراسةُ منطقة الأهوار

تكشف دراسةُ منطقة الأهوار عن أنّها عبارةٌ عن حَوضٍ يحيطُ به خطُّ الارتفاع المتساوي خمسة متر فوق مستوى سطح البحر[٢٦]، وفي داخل المنطقة تصبحُ الأرضُ مُستوية تماماً، وفي الوقت نفسه منخفضَة؛ فارتفاعُ الأرض على طول قناة (الجبايش – القُرنة) يصل إلى نحو ١,٥م فوق مستوى سطح البحر، وعلى طولِ (شطّ العرب) يتراوح ما بين ٢,٥م عن الرأس إلى ١,٥م في منطقة (السيبَة)[٢٧]، وأما عمق المياه، فيتراوح في أغلب أجزاء الأهوار ما بين مترٍ ومترٍ ونصف، لكنّه يكون أكثر عمقاً في مناطق معيّنة[٢٨]، وقد يصل إلى ثلاثة أمتار في أهوار شمال القُرنة وشمال هور السّويب[٢٩].

ونظراً لقلّة الأرضِ اليابسة في مناطق الأهوار، يقومُ السكّان بعمل جُزُرٍ اصطناعيّة، يبنون فوقها بيوتَهم في المناطق الضّحلة التي يعلوها الماءُ بمقدار ربعِ إلى نصفِ متر، وذلك بوضعِ القَصَب في الماء بعضه فوق بعض على شَكل حُزَمٍ متراصّة، وتفصلُ المياه بين كوخٍ وآخر، وبعبارةً أخرى: بين جزيرة وأخرى.

ويتمُّ الانتقالُ بين هذه الجزر عن طريق زوارقَ صَغيرة يطلق عليها اسم (مشاحيف)، تمتلكُ كلُّ عائلة عدداً منها، ومِن مجموعةِ هذه الجُزر تتكوَّن أرضُ القرية داخل الهور، وتقامُ بعضُ القرى فوقَ أرضٍ يابسةٍ عند أطرافِ وضفافِ الأهوار، أمّا الجزرُ الطبيعيّة التي لا ترتفعُ إلّا قليلاً فوق مستوى سطح ماء الهور. وتسمى (إيشان) . فهي تمثّل آثارَ مدنٍ ومراكز عمرانٍ قديمةً دارسةً، تستغلُّ حالياً لأغراض السكن[٣٠].

وأمّا تربةُ منطقة الأهوار، فقد غُطّيَ أغلبُها بطبَقة معظمُها من الطين، فأصبحت تربةً ثقيلَة، وكذا توجدُ تربةٌ مزيجيّةٌ أو طينيّةٌ ذاتُ أُفُقٍ ملحيٍّ في طبقتِها السطحيّة، ممّا يجعلُ تصريفَها رديءاً قياساً بالتربة

المزيجيّة[٣١]. وتضمُّ التربة السطحيّة موادّ عضويّةً بنسبة ٢-٣٪ ، ونسبةُ تركيز (آيون الهيدروجين) تتراوح من ٧,٩ الى ٩ [٣٢].

تجفيفُ الأهوار

وأمّا تجفيف الأهوار، فقد استمرَّ العملُ فيه سنوات طويلة، حتّى بلغت المساحاتُ المجفَّفة حوالي ٦٥٠٠ كم٢، إستُغلَّ منها ٢٠٤٥ كم٢، موزّعةً على ثلاث محافظات، هي ميسان: ٦٧٧٠٥ كم٢، وذي قار: ٧١٢٠٥ كم٢، والبصرة: ٦٥٥ كم٢ .

كان قرارُ تجفيف الأهوار المتّخذُ في بداية الثمانينيّات من القرن العشرين يعني إيقافَ نظامِ الحياةِ في تلك المنطقة، ونهايةً للثروة الحيوانيّة فيها، وقتلاً للكائنات الحيّة، وإفناءً للإرث الحضاريّ، من خلال الحملات العسكريّة التي تعرّضت لها المنطقةُ، وبخاصّة بعد آذار من عام ١٩٩١م، لذا، تقلَّصَت مساحةُ الأهوار إلى أكثر من ٩٠٪، ممّا أدّى إلى حدوث واحدةٍ من أكبر الكوارثِ البيئيّةِ خلالَ القرنِ العشرين، فتعرَّض السكّان إلى هِجرةٍ قسريّةٍ أدّت إلى انخفاضِ أعدادِهم مِن أكثر مِن (٤٠٠) ألف نسمةٍ إلى حوالي (٧٠) ألف نسمة فقط، وهاجرَ عددٌ كبيرٌ من هؤلاء إلى المُدن والمناطق الأخرى[٣٣].

ومن بين المهجَّرين سكَان (٢٥٠) قرية، مع إزالة ٦٥٪ من المنازل السكنيّة في أقضية (الجبايش) و(سوق الشيوخ) و(الشطرة) و(الإصلاح) في محافظة ذي قار، وبعدَ سقوط نظام الحكم في عام ٢٠٠٣م، عادَ إليها حوالي (١٧٨) ألفَ مواطنٍ من سكّانها المهجَّرين الذين هاجروا إلى خارج العراق [٣٤].

وبعد إحياء الأهوار عام ٢٠٠٣م، أصبحت المنطقةُ





بحاجة إلى بناء المنظومة الصحيّة والتعليميّة، وتوفيرِ مختلف الخَدمات للسكّان، أملاً في عودتها إلى سابق عهدها؛ لتواصل تجهيز المُدن بخيراتها، من ثروة سمكيّة، ومن طيور، ومشتقّات الحليب، ومن القَصب والبرديّ والأعلاف.



تطويرُ الأهوار

إنَّ العناية بمنطقة الأهوار يمكنُ أن يجعلَها من أكبرِ المشاتي في البلاد، بل يمكنُ أن تكونَ (الجبايش) فينسيا العراق، إذا أولتْها مؤسَّسةُ المصايف والسّياحة العراقيّة لفتةً سياحيَّةً، وربطتها مع سائرِ مناطق العراق بطرقٍ معبّدةٍ، فضلاً عن تشجيرِها، وتهيئةِ عددٍ من الزّوارق البخاريّة لنقلِ المسافرين والسُّيّاح إلى أعماقِ الأهوار، وكذلكَ يمكن إقامة مراكز سياحيّة وفنادق، وكذا يمكن إعداد دليل إرشاد يليق بمكانتها.

وهناك عدّة نقاط مهمّة في مجال تطوير الأهوار، نذكر منها:

- إعدادُ دراساتٍ وبحوثٍ تعني بالتعريف بالآثار والإمكانات السياحيّة التي تمتلكها الأهوار.
- القيامُ بإجراء الصّيانة اللازمة للمواقع الأثريّة وحمايتها.
- تشجيعُ الحركة السياحيّة، من خلال حَملاتِ وسائلِ الإعلام، والتعريفِ بمناطق الأهوار.
- القيامُ بإنشاء شركات سياحيّة كبيرة، مهمّتها تطويرُ البرامج السياحيّة في الأهوار، من توفيرِ كافّة المستلزمات.
- إحياءُ معارضَ متنوعةٍ، يعرضُ فيها الصناعاتُ الشعبيّة اليدويّة، ويمكن إقامة هذه المعارض على أرض المواقع الأثريّة في الأهوار.
- تشجيعُ المواطنين والسُّيّاح على السياحة في الأهوار، وقضاءِ العطل وأوقات الفراغ فيها، إذ يسهم ذلك في رفع المستوى المعاشيّ والحضاريّ والثقافيّ للمواطنين[٣٥].



(المصادر)

١- جغرافية منطقة الأهوار في العراق، أ. د. عباس فاضل السعدي، مجلّة التراث الشعبي، العدد الثاني عام ٢٠١٤.

٢- إستطلاعٌ مصوّر، سليم زبال، مجلّة العربي، الكويت، العدد ٨٨ عام ١٩٦٦.

٣- تغيّر التوزيع الجغرافي لسكان الأهوار في العراق، أ. د. عبّاس فاضل السعديّ، مجلّة دراسات (العلوم الإنسانية) الجامعة الأردنية، العدد الأوّل عام ١٩٩٥.

٤- إقليمُ القصب في جنوب العراق، محمّد حامد الطائي، مجلّة الأستاذ، بغداد، المجلّد العاشر عام ١٩٦٢.

٥- الجبايش، شاكر مصطفى سليم، الجزء الأوّل، مطبعة الرابطة، بغداد عام ١٩٥٦.

٦- تحديد أقسام سطح العراق، محمّد حامد الطائي، مجلّة الجمعيّة الجغرافيّة العراقيّة، بغداد، المجلّد الخامس عام ١٩٦٩.

٧- جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبيّ العراق، حسن الخياط، طبع القاهرة عام ١٩٧٥.

٨- بلدان الخلافة الشرقيّة، كي لسترنج، مطبعة الرابطة، بغداد، عام ١٩٥٤.

٩- جنّة عدن هل تعود إلى الأهوار؟، سعد الخفاجيّ، جريدة بغداد، العدد ٩٦٢، عام ٢٠٠٤.

١٠- دراسة عن مناطق الأهوار في محافظة البصرة، إصدار الهيئة العامّة للزراعة والإصلاح الزراعيّ، بغداد عام ١٩٨٣.

١١- جولة في الأهوار، محمّد حسين فوزي – إبراهيم جاسم القرملي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٨-١٩٦٩.

١٢- مقدّمة في الجغرافيّة السياحيّة، صباح محمود محمّد، طبع بغداد، عام ١٩٨٠.

١٣- رحلة إلى الجبايش، أ. د. عباس فاضل السعدي، مجلّة بغداد، العدد ٢٨ عام ١٩٦٦.

١٤- ظواهر التركّز والتنوّع الزراعيّ، عبد الرزّاق البطحيّ، مطبعة الإرشاد، بغداد، عام ١٩٧٢.

١٥- التربة وأثرها في التطور الزراعيّ في السهل الرسوبيّ، نوري خليل البرازيّ، مجلّة الجمعيّة الجغرافيّة العراقيّة، بغداد، المجلّد الأوّل عام ١٩٦٢.

١٦- المشاريع الإروائيّة المقامة بعد تجفيف أهوار القرنة والحمّار، محمّد جعفر السامرائيّ، ندوة إنشاء مركز بحوث ومتحف الأهوار العراقيّة، بالتعاون بين وزارة الموارد المائية ووزارة الثقافة، بغداد، عام ٢٠٠٤.

١٧- جريدة الصباح، بغداد، العدد ٧٤٤ عام ٢٠٠٦.

١٨- الإمكانات السياحيّة للأهوار في جنوب العراق، أ. د. صفيّة شاكر معتوق المطوريّ، مجلّة تراث البصرة، العدد الأوّل عام ١٤٣٨هـ،٢٠١٧م.

الهوامش

١- جغرافية منطقة الأهوار في جنوب العراق، أ. د عباس السعدي، مجلّة التراث الشعبي، ص٣٣.

٢- المصدر نفسه، ص٣٤.

٣- إستطلاع مصوّر، سليم زبال، مجلّة العربي، العدد ٨٨ عام ١٩٦٦، ص٧٤.

٤- تغيُّر التوزيع الجغرافيّ لسكّان الأهوار في العراق، عبّاس فاضل، مجلّة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنيّة، العدد الأول عام ١٩٩٥م، ص٢٥٥-٢٥٦.

٥- المصدر نفسه.

٦- إقليمُ القَصَب في جَنوب العراق، محمّد الطائي، مجلّة الأستاذ، بغداد، المجلَّد العاشر عام ١٩٦٢، ص٢٥٥-٢٥٦، الجبايش، مصطفى سليم، ج١ ص١٩، ص٢٨.

* تدخُل الوحداتُ الإداريّة ضمن منطقة الأهوار وفقَ المقياس الذي يحدِّد تغطيةَ ما لا يقلُّ عن ثلث مساحة الناحية بمياه تلكَ الأهوار، الدائمة أو المؤقّتة. راجع: جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبيّ العراق، حَسن الخيّاط، ص١٠.

٧- تغيُّر التوزيع الجغرافي، السعدي، مجلّة دراسات العلوم الإنسانية، العدد الأول عام ١٩٩٥، ص٢٩.

٨- تحديد أقسام سَطح العراق، مجلّة الجغرافية العراقيّة، محمّد الطائي، ص٣٨.

٩- جغرافية منطقة الأهوار في العراق، أ. د عبّاس السعدي، مجلّة التراث الشعبي، ص٣٦.

١٠- المصدر نفسه.

١١- المصدر نفسه.

١٢- أهوار جنوب العراق، عامر حسك، ص٤٥-٤٦.

١٣- جغرافية منطقة الأهوار في جنوب العراق، السعدي، مجلّة التراث الشعبي، ص٣٧.

١٤- بلدان الخلافة الشرقيّة، كي لسترنج، ص٤٣-٤٤.

١٥- المصدر نفسه، ص٤٣-٤٤.

١٦- جغرافية أهوار العراق، حسن الخيّاط، ص٨٧.

١٧- إقليم القصب، محمّد حامد الطائي، ص٢٦٤.

١٨- جنّة عدن هل تعود الى الأهوار؟، الخفاجي، جريدة بغداد، العدد ٩٦٣ عام ٢٠٠٤.

* يمتدّ مجرى الفرات القديم (حتّى أواخر القرن التاسع عشر) الى القُرنة، حيثُ كان يلتقي فيها الفراتُ بدجلة، أمّا المياهُ التي تشاهدُ وهي تصبُّ في دجلة عند القرنة، فهي تأتي من مستنقعات تغذّيها مياهُ النهرين معاً، وعندما سافر الكابتن (جسني) في الفرات من القرنة الى الناصريّة وصفه بالنهر الجيد، إلا أنّ هذا القسمَ من النهر بدأ بالاندثارِ بسبب كثرة الترسُّبات، وعلى الأخص خلال الحرب العالميّة الأولى، لهذا، أصبحت كرمةُ عليّ نقطةَ التقاء الفرات بعد خروجه من هور الحمّار بدجلة. راجع: الموقع الجغرافيّ للعراق وأثره في تأريخه العامّ حتّى الفتح الإسلاميّ، إبراهيم شريف، ج١ ص٥٢.

١٩- إقليم القصب، الطائي، ص٢٦٦، ص٢٦٨.

٢٠- دراسة عن مناطق الأهوار في محافظة البصرة، إصدار: الهيئة العامّة للزراعة والإصلاح الزراعي، في عام ١٩٨٣، بغداد.

٢١- مقدّمة في الجغرافية السياحيّة، صباح محمود، ص٦٠.

٢٢- جولة في الأهوار، محمّد حسين فوزي – إبراهيم جاسم القرملي، ص١٥-١٦.

٢٣- الجبايش، شاكر مصطفى، ج١، ص٦٣، إستطلاع مصوّر، مجلّة العربي، سليم زبال، العدد ٨٨ عام ١٩٦٦، ص٧٤.

٢٤- رحلة إلى الجبايش، السعدي، مجلّة بغداد، العدد ٢٨ عام ١٩٦٦، ص٢٩.

٢٥- الجبايش، شاكر مصطفى سليم، ج١، ص٨٤.

٢٦- ظواهر التركّز والتنوّع الزراعي، عبد الرزاق البطيحي، ص٢١.

٢٧- جغرافية أهوار ومستنقعات جنوبيّ العراق، حسن خياط، ص٣٦-٣٧.

٢٨- الجبايش، شاكر مصطفى سليم، ج١، ص٢٩.

٢٩- دراسةٌ عن مناطق الأهوار في محافظة البصرة، الهيئة العامّة للزراعة والإصلاح الزراعيّ، ص٤.

٣٠- جغرافيةُ منطقة الأهوار في جنوب العراق، السعدي، مجلّة التراث الشعبي، ص٤٢.

٣١- التربةُ وأثرها في التطور الزراعي في السّهل الرسوبيّ، نوري خليل، ص١٢٠-١٢١.

٣٢- جغرافيةُ منطقة الأهوار في جنوب العراق، السعدي، مجلّة التراث الشعبي، ص٤٢.

٣٣- جريدة الصباح، بغداد، العدد ٧٤٤، عام ٢٠٠٦.

٣٤- جنّة عدن هل تعود إلى الأهوار؟، الخفاجي، جريدة بغداد، العدد ٩٦٢، عام ٢٠٠٤.

٣٥- الإمكانات السياحيّة للأهوار في جنوب العراق، أ. د. صفيّة المطوري، مجلّة تراث البصرة، العدد الأوّل، عام ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م، ص٣٤٢.



رَجُلُ المُرور
علي كريم رضّاوي
في سُطور

حوار: علي سلمان كنعان

للدّور الفعّال والكبير الذي يقومُ به رجلُ المُرور، وللمسؤوليّة العظيمة الملقاة على عاتقه ، فإنَّ هناكَ جملةً من الصفات يجبُ توفرُها فيه، منها : أن يتحلّى بالصبر، وأن يمتلك قدرةً كبيرةً على التحمُّل تساعدُه على التعامل مع المواطنينَ في الشّارع؛ فهناكَ الكثيرُ من المشاكل التي تحدُث، وتحتاجُ من رجل المرور أن يمتلك من الحكمة ما يستطيعُ به أن يجدَ الحُلولَ المناسبةَ ، فضلا عن ذلك، يجب على رجل المرور أن يتمسّكَ بالعدل؛ حتّى لا يظلمَ أحدَ الأطراف في تطبيق النّظام وقواعد السّير .

مجلّةُ الخُطوة في إحدى جَوْلاتها التوثيقيّة كانَ لها لقاءٌ مع أُنموذج من رجالِ المرورِ في البصرة، وهو مفوَّضُ المرور (علي كريم رضّاوي)، الذي استقبَلَنا - مشكورا - في بيته وقتَ استراحته؛ لتسليطِ الضوءِ على جانبٍ من حياته المهنيَّة.

الخُطوةُ: من هو الأستاذ (عليّ كريم) بإيجاز؟

عليّ كريم رضّاوي خَلَف الفَحّام، مفوَّضٌ في مرور محافظة البَصرَة، من مواليد ١٩٦١م، نشأتُ وترعرعتُ بين أزقّتها، التي حملت لي ذكريات ما زلتُ استنشقُ الطيبَ في ذكراها، وكانت منطقةُ الرّباط الكبير (الجُبَيْلَة) خيرَ شاهدٍ على ضَحكات طفولتي، وبزوغِ شبابي، لأنتقلَ بعدَها للعيش في محلّة الهادي في المحافظة نفسها.

الخطوة: حدِّثْنا عن مِهنة المُرور، وكيفَ تقضونَ أيّامَكم فيها؟

حقيقةُ الأمر: إنَّ مهنةَ المرور من المهنِ الإنسانية التي تساهمُ في بناءِ المجتمع؛ إذ نتعلَّمُ من خلالها مبادئَ كثيرةً؛ كونَها خدمةً مجتمعيّةً بالدرجة الأولى، أساسُها التعاوُنُ بين أفراد المجتمع.

وأنا سعيدٌ كوني أعملُ بهذا المجالِ، وأدينُ بذلك الفضلِ لوالدي، الذي ساعدَني وشجَّعَني على هذا العملِ، الذي زاولتُه منذ عام ١٩٨٠م، حين عملت كاتباً في شُعبة تسجيلِ الإجازاتِ لمدّة أربعِ سنواتٍ، وبعدها انتقلتُ الى لجنة اختبارِ المركَباتِ، ثمَّ تنظيم سير المركَبات في محافظَتي العزيزة.

الخطوة: على أيّ أساس يتمُّ التعاملُ بينَ رجل المرور والسائقِ ؟ وهل يوجدُ تنسيقٌ مع القُوّات الأمنيّة في العَمل المشترك؟

إنَّ التعاونَ هو أساسُ المعاملة بين رجل المرور والسائقِ، نعم، سابقا كان يرى السائقُ المرورَ رجلَ القَسوةِ والقوَّةِ؛ نتيجةَ فرضِ الغَرامات التي كان بعضها مجحفا جدّا، وكانت الديمقراطيةُ معدومةً، وأمّا في الوقت الحاليِّ، فهنالك جوٌّ من التسامح والأخوَّةِ بينَ السائقِ والمرورِ، وهذا لا ينفي تطبيقَ القانونِ بالصورة التي تحفظُ التوازنَ بين رجلِ المرورِ والسائقِ.

وأما بالنسبة الى تعاوننا مع القوّاتِ الأمنيّةِ المختلفة، فهو يأتي في سياق تصويب العمل بصورة أفضلَ، خصوصاً إن كان هنالك أيُّ عارضٍ قد يؤثّر على سلامةِ المواطنينَ، كالحوادث مثلاً، فيكون العملُ مشتركاً في بعض الأوقات.

الخطوة: هلّا حدّثتنا قليلاً عن الغَرامات التي تُفرَضُ على السائقينَ، وما هي الضّوابطُ المتَّبَعةُ لذلك؟

إنَّ أغلبَ الغراماتِ تأتي من عَدَم إكمال شروطِ القيادةِ، وأهمُّها الحصولُ على إجازة السياقةِ، التي يكونُ شرطُها الأول بلوغَ السنِّ القانونيِّة، ويأتي ذلك لتقليلِ الحوادثِ، ووجودُ الغرامات لتكونَ رادعاً؛ حتّى لا تتكرَّر المخالفاتُ قدرَ الإمكان.

الخطوة: خلالَ عَمَلكم المتواصل في المرور، هل حصلتُم على شهاداتٍ تقديريّةً تثمّن عملَكم هذا؟

نتيجةَ الاتقانِ في العمل طوال مدّة مسيرتي المهنيّة في هذا المجالِ، حصلتُ على ما يقرُبُ من مائةٍ وخمسينَ شهادةً تقديريّةً من جهاتٍ متعدِّدة، وأكثرَ من ثمانينَ نُسخةٍ من القرآنِ الكريم، ولله الحمد.

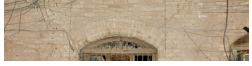
الخطوة: ما هي وسائل الراحة لرجل المرور بين الماضي والحاضر؟

إنَّ مستلزماتِ رجلِ المرورِ بسيطةٌ جدّاً؛ فهي تقتصرُ بصورةٍ واضحةٍ على المظلّة؛ لتقيَه من بَردِ الشتاء وحرِّ الصيف، وباعتقادي: الوضع من هذه الناحية في الوقت الحاضر أفضلُ بكثير من الوقت السابق.

الخطوة: كيفَ يتمُّ التعاملُ مع الدّوائر الخدميَّة التي تطلُب مساعدتَكم لإنجاز غرضٍ ما؟

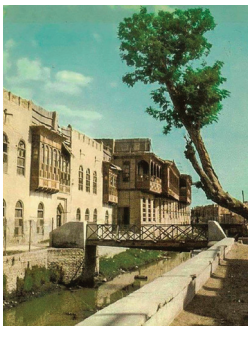
هناك تعاونٌ كبيرٌ جدّاً ومنقطعُ النظير مع مختلف الدوائرِ المعنيّة في المحافظة، وعلى سبيل المثالِ: لو كان هنالك عملٌ يخصُّ دائرةَ الكَهرباء أو الماء أو غيرهما من الدوائر في أحد شوارع المحافظة، يتمُّ تشكيلُ لجانٍ مختصّةٍ لذلكَ؛ لتحدِّد مدّةَ العَمَل الذي يستمرّ فيه القطعُ مثلا، ثمَّ يتمُّ الإعلانُ عنه في التلفزيونِ والصحفِ المحليّة، ولكنْ، في بعض الأحيانِ، يتمُّ قطعُ الطُّرقِ من بعضِ المقاولينَ لإنجاز عمل مّا بدونِ سابقِ تبليغٍ لدائرةِ المرورِ، وهذا يؤثّر كثيراً على عملنا في انسيابيّة حَركة المرور.

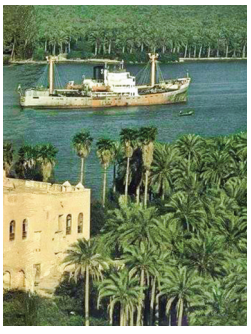
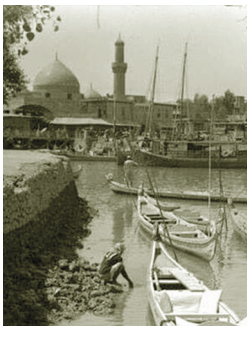
الخطوة: الشكرُ الجزيلُ لجنابكم على هذا اللقاء، وعرفانٌ بجميلِ ما تبذلونه في سبيل خدمة المواطنِ والوطن.










التّسمياتُ القديمةُ في البصرة

الحَلقة التاسعة

الأستاذ كريم علّاوي

الحِجامَة

وجمعُ حِجامَة: (حِجامات)، وكان بعضُ أهل البصرة يُطلقون عليها: (حيامة)؛ لأنَّ بعضَ البصريّينَ، وخاصّة أهلَ الرِّيف، ينطقون الجيم ياءً، مثلاً: عندما يقول: جاكم محمّد، يقول: ياكم محمّد، وعمليّة (الحَجم) كانت تُجرى في الربيع؛ لأنّ الكبارَ كانوا يقولون: إنّ الحَجم، أي: سحب الدَّم من جسمِ الإنسان، مفيدٌ له، وخاصَّة في فصل الربيع، ففي هذا الفصل يأتي (الحجّام) ويطوف بالأزقّة مُنادياً: حجامَة .. حجامة، فيُستدعى من أحد البيوت، وكانت آلة الحَجم (استكانةً) بقدر استكانةِ الشّاي الكبيرة، وفي نهايتها من جهة القَعر أنبوبٌ زجاجيٌّ رفيعٌ طوله ثلاثةُ أو أربعةُ إنشاتٍ تقريباً، ومعه أمواسُ الحلاقة، وقبلَ إجراء الحَجم يَطلُبُ الحجّام (ماعوناً) ليسكبَ فيه الدّمَ، وهنا يطلب من الذي يريد الحَجم الجلوس، فيجلس خلفَه مباشرةً، ثمَّ يختار مكاناً في كتفه؛ إذْ يضع الاستكانة خلفه مباشرة، ويبدأ بسحبِ الهواءِ الموجود داخل الاستكانة، وتستمرُّ لفترةٍ حتّى يظهرَ بروز بالكتف داخل الاستكانة، ثمَّ تُرفع الاستكانة، ويُؤخذ (موس) حلاقةٍ على أنْ يكون جديداً، وإلّا فإنَّ أهل البيت يأتون بـ(موسٍ) جديد، ثمّ يقوم الحجّام بتشريط الجلد ليخرج الدّم، وبعدها يضَع الاستكانة







حوله، ويقوم بسحب الدّم، وعندما يتجمّع الدّم بالاستكانة يسكبُه في الماعون الذي بجانبها، وتتكرّر عمليّة سحب الدّم عدّة مرّات إلى أنْ ينتهي الحجم، وكان والدي مِن المدمنين على الحجم، وكان بعضُ الحلّاقين يمارسون عمليّة الحجم في دكاكينهم، واستمرّوا به، ولكن توقّف الحجم بعدها.

الصَّيْرَفَة

في الثلاثينيّات من القرن المنصرم كان مكان الصرّافينَ في سوق هَرَج، في السُّوق الذي تُباع فيه الآن الحِبالُ، قربَ سوق المَقام، وكانَ جميعُهم أو أكثرُهم من اليَهود، وكانوا يُغَطُّون رؤوسهم بالفين (نوع من أنواع الطرابيش)، وأهلُ البصرة كانوا يلبسونَ الفين قبل انتشار السِّدارة، وكان الصرّاف يجلسُ في باب دكّانه، الذي لا تتعدّى مساحتُه خمسة أمتارٍ مربّعةٍ تقريباً، وبيده نقودٌ معدنيّةٌ كبيرةٌ، مثل الرّوبيّات، فيحرّكها بيديه بطريقةٍ يسمعها الذي يمرُّ هناك، فالذي يريد التصريف يختار أحدَ الدّكاكين، ويبدأ بالسُّؤال عن قيمةِ المبلغ المطلوب تصريفه، ثمَّ يذهب إلى دكّانٍ آخر، وهكذا، إلى أنْ يجدَ مَن يدفعُ له أكثر.

باعةُ القَيمَر والحَليب والرّوب

يُباع القيمرُ والحليبُ في البصرة فَجراً؛ إذْ تتجوّل البائعة - وتُسمّى (أمّ الكَيمر)- في الشّوارع الفرعيّة والأزقّة، وتنادي (إشْرَلْجَنْ كيمَر)، وكلمة (اشرلجن) صيغة أمر مأخوذةٌ من العربيّة الفصحى: (اشترينَ لكُنّ)، والنون هي نون النِّسوة طبعاً، وتحمل بائعة القيمر طبقاً أو طبقين تضع عليهما (مواعين) القيمر، وتُغطّي الطبقين بطبقٍ ثالثٍ، وعند التجوال كانت تنادي -كما ذكرتُ- أمَّا بائعة الحليب و(الرُّوب)، فتستعمل قفَّةً مطليَّةً بمادّة القار (الجير) من الداخل والخارج، تضعُ بها (مواعين) الرّوب، وقناني الحليب، وربّما بعض (مواعين القيمر)، وعندما يتمُّ الشِّراء من أحد البيوت تأتي أمّ القيمر قبل الظهر لاستلام المواعين وثمن القيمر، وهناك باعة (الرّوب) عصراً، وكان يُباع من قبل الرِّجال، وكانوا في الغالب من سَكَنَة محلّة السّاعي في العشّار، ويَستعملُ البائع طبقين يضعُ عليهما مواعين (كاسات الرُّوب الصّغيرة)، ويغطّيها بطبقٍ ثالثٍ، وعند التّجوال في الشّوارع الفرعيّة والأزقّة كانوا يُنادون: (روب .. روب)، وبعد الانتهاء مِن البيع يعودونَ إلى البيت، فيأتي البائعُ في اليوم الثاني صباحاً لأخذ مواعين الرّوب والثَّمَن، وبإمكان البيوت الطلب مِن البائع أنْ يأتيَ يوميّاً للشّراء منه، وهو ما ينطبق على بائعات (القيمر والحليب والرُّوب).



مَعرَكةُ الجَمَلِ: قراءةٌ في تَحديدِ المَوقعِ

مكانُ المَعرَكةِ

القِسمُ الثّالِثُ

د. شُكري ناصر عبد الحسن

مرَّ علينا في القسمين السابقين الرواياتُ التي تحدَّثت عن التحرُّك الميدانيِّ لأصحاب الجَمَل وللإمام عليٍّ عليه السلام، ومنها نفهمُ أنَّ التمركزَ كان في أماكنَ متقاربةٍ للطرفين، وبعده تمّ التحرُّك نحو المكان الذي وقعت فيه المعركةُ، فأينَ - إذن - وقعت المعركة من البَصرَة ؟

اختلفت الرواياتُ التاريخيّةُ في تحديد مَكان المعركة، وذَكَرَت لذلك أماكنَ عدّة نذكرها على النحو الآتي:

- **المِرْبَد**

وقد مرَّ ذكرُه سابقا، وأنّه يقعُ في الجهة الغربيّة من البصرة ، وكان أوَّل مكانٍ نزله أصحابُ الجَمَل عند قدومهم البصرةَ، وقد ذكر السمعانيُّ عند حديثه عن (المربد) أنّها المكانُ الذي حدثت فيه معركةُ الجمل[1].

وهذا القول بعيدٌ جدّاً عن الواقع؛ إذ انفردَ السمعانيُّ بذكره دون غيره، ولم نعثَر على رواية أخرى تؤيِّدُ ما ذهب إليه. والذي يبدو لنا، هو أنَّ السمعانيَّ قد خَلَطَ بينَ الروايةِ التي تحدَّثَت عن المناوَشات التي حدَثت بين أنصار الطَّرَفين في المربد، وبينَ يوم المعركة، رابطًا جميع ذلك بموقعِ قبرِ الزُّبير، الذي يقعُ في منطقة المربد، متناسيًا أنَّ الزُّبيرَ قد خرجَ من مَكان القتالِ كما هو مشهورُ الروايات، فضلاً عن هذا، فإنَّ موضعَ قبرِه موضعُ اختلاف فمعَ الرواية التي ذكرت أنَّ قبره في المربد، هناك روايةٌ أشارت إلى أنَّه خرجَ إلى سَفوانَ، وقُتل بها[2].

- **الزّابوقَة**

وهي من مناطقِ البصرةِ المعروفةِ، سكّانها النّازلون في البصرة بعد الفتح الإسلاميِّ، تقول الرواية: « ... فسار عتبةُ حتّى نزلَ البصرةَ، وضربَ قيروانَه، وضربَ المسلمونَ أخبيتَهم ، ثمّ رماهُ عمرُ بالرّجالِ، فلمّا كثروا، بنى رهطٌ منهم بها سبعَ دَساكِرَ من لِبْنٍ، منها في الخريبة اثنتانِ، وفي الأزد اثنتان، وفي الزابوقةِ واحدةٌ، وفي بني تميم اثنتان، وكان ذلك سنة سبعَة عَشر»[3].

وتقعُ الزابوقةُ بالقُرب من قريةِ الأَرزاقِ أو دارِ الرّزقِ[4]. وقد قيل: إنّها مدينةُ المَسامِعَةِ بنِ ربيعةَ بالبصرةِ، وهم بنو مَسمَعِ



بنِ شِهابِ بن بلع بن عمرو بن عباد بن ربيعة بن جحدر بن ضِبيعةَ بن قِيس بن ثعلبة بن عكابة بن صِعب بن علي بن بكر بن وائل[٥].

وقد مرَّ بنا سابقًا أنَّ أصحابَ الجملِ بعدَ أن عَرفوا أنْ لا مُقام لهم في البصرةِ، توجَّهوا نحوَ الزابوقةِ فنَزلوها[٦]. وقد ذكرَ البعضُ أنَّ الزابوقةَ هي الموضعُ الذي حَدَثت به الوقعةُ يومَ الجملِ، وأردَفَها بعضُهم بعبارةِ: «أوّل النّهار»[٧]، ولكنَّنا لا نتّفق مع هؤلاء في أن تكون الزابوقةُ هي مكانُ المعركة تحديدًا[٨]؛ إذ يبدو أنَّ الخلطَ قد أصابَهم فيما بين وقعة الجَمَل الأصغرِ بينَ أصحابِ الجملِ وأتباعِ الإمام عليٍّ عليه السلام بقيادة حكيم وبين يوم الوقعة التي سُمّيت فيما بعدُ بيوم الجَمل.

فالزابوقةُ هي المكانُ الذي وقعت فيه وقعةُ الجملِ الأصغر، وهذا ما يمكنُ استنتاجُه من بعضِ الرواياتِ التي تحدَّثَت عنها؛ ففي ترجمة مُجاشع بنِ مسعود بن ثعلبةَ يقولُ خليفةُ بنُ خياط: «قُتل مجاشعٌ يومَ الجَمَل الأصغَرِ، يومَ الزابوقةِ، في سنة ستٍّ وثلاثين»[٩]. وفي رواية البلاذريّ: «وركبَ حكيمُ بن جَبَلَةَ العبديُّ حتّى انتهى الى الزابوقةِ ... فسارَ إليه طلحةُ والزبيرُ...»[١٠]، وفي ترجمة مُجاشعِ بنِ مسعودٍ السَّلَميِّ يقولُ الحافظُ الأصفهانيُّ: «قُتل يومَ الجمل الأصغر، يومَ الزابوقة، سنة ستٍّ وثلاثينَ، ودُفن في داره بالبصرة»[١١]. كذلك الرواياتُ التي تحدَّثت عن وقوع المعركة أوَّلَ النّهار، وهو مطابقٌ تماماً للرواية التي تحدَّثت عن حَركتهم في البَصرة، وأنهم «انتَهَوا إلى الزابوقة»[١٢]؛ إذ تقول الرواياتُ أنّهم بعدَ أن جاءوا إلى الزابوقة «فخرجَ إليهم عثمانُ بنُ حُنيف، فتواقَعوا حتّى زالت الشمس»[١٣]، والزوالُ كما هو معروفٌ منتصفُ النهارِ، بمعنى: أنَّ المعركةَ قد حدثت صَباحًا، وكلُّ ذلك يدلُّ دلالة لا غبارَ عليها على أنَّ الزابوقةَ هي مكانُ معركة الجمل الأصغرِ بينَ عُثمانِ بن حُنيف (والي البصرة) من جهةٍ، وأصحابِ الجملِ من جهة اخرى، وعليهِ، فلا يمكن ترجيحُ أو قبول الرواية التي قالت أنّها مكان وقعة الجمل الكُبرى.

والزابوقةُ - كما يظهر - المكانُ الذي اتّخذه أصحابُ الجَمَل معسكراً لهم قُبيل وقوع المعركة، ويحتمل أن يكون هذا الأمر هو الذي دفعَ بعضَ المؤرّخين إلى الاعتقاد بأنَّ الزابوقةَ هي مكان المعركة الكبرى، ذكر سيفُ بنُ عمر: «فخرج طلحةُ والزبيرُ بالناس إلى الزابوقة»[١٤]، وفي رواية أخرى: «وعائشةُ في الحدان، والناسُ في الزابوقة»[١٥]، وهذا قبل المعركةِ؛ لأنَّهم (أي: طلحة والزبير وعائشة) لم يخرجوا من الزابوقة في يوم المعركةِ، بل - كما هو صريح الروايات - إنَّهم ساروا من الفرضة[١٦]. وهي - كما يُفهم من الروايات آنفة الذكر - الساحةُ الواسعةُ من الأرضِ، التي تفصل بين مكان وآخر.

والخلاصةُ: إنَّ الزابوقة لم تكن هي مكان المعركة في يوم الجمل، بل مكانُ معركة الجمل الأصغرِ، وعلاقتُها بالكبرى أنَّها اتُّخذت كمعسكر لأصحاب الجمل وجيشهم، إلّا أنَّهم تركوها قُبيل المعركة الحاسمة.

• قصرُ عُبيد الله بنِ زياد

قامت البصرةُ - كما هو معروف - على أنقاض مدينةٍ قديمةٍ كان الفرسُ يسكنونها؛ فقد كتب الفاتحون الى عمر بن الخطّاب: «يا أمير



المؤمنين، إنّي مررتُ بمكان دونَ دجلةَ فيه قصرٌ، وفيه دَيادبةُ الأعاجم[١٧] يقال لها الخُرَيبة، ويسمّى أيضًا البُصَيرة»[١٨]، ويبدو أنَّ قصرَ عُبيد الله بن زياد يقعُ ضمن هذا المكان، وقد تكون أرضُه أرضاً صالحةً للسكن ذات بيئةٍ مناسبةٍ وجيّدةٍ، ممّا دفع كبارَ المسؤولين إلى أن يتّخذوا فيها قصورًا.

ذكر أحدُ الباحثين: «فكانَ لعبيد الله بن زيادٍ مثلاً قصرٌ بعيدٌ عن المَسجد يدعى البَيضاء»[١٩]. ويقع هذا القصرُ في المنطقة الواقعة بين الزاوية والمسجد الجامع؛ إذ كانت أرضاً لعبد الله بن عثمان الثقفيِّ، اشتراها منه عبيدُ الله بن زياد، وبنى عليها قصرَه الأبيضَ[٢٠]. ومن هذا، نفهم أنَّ القصرَ كان في الجزء الشماليِّ من البصرة. وقد أشارت المصادرُ إلى أنَّ الطرفين التقيا عندَ موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جُمادى الآخرة سنة ٣٦هـ[٢١]. وإذا كان هذا القصرُ يقعُ بالقرب من الزاوية، وأنَّ الإمامَ عليه السلام نزلَ الزاويةَ ومنها خرجَ إلى موضع القصر، فإنَّ أصحابَ الجمل خرجوا إليه من الفرضة، لذا، فإنَّ وقوعَ المعركة في هذا المكان هو الأقربُ إلى الواقع في ضوء توفُّر الروايات التاريخيّة؛ لكونه المكانَ الوحيدَ الذي جاءَ فيه تحديدُ أماكنِ استقرارِ الطّرفين وتحرُّكهما، ثمّ ذكر المكان الذي وقعت فيه المعركة.

وهنا، قد يسأل سائلٌ: أليسَ ترجيحُ هذا المكان بأنَّه موضعُ المعركة يتعارضُ مع الروايات الواضحة، التي تحدَّثت عن وقوعها في الخُرَيبة ؟

وللإجابة على هذا السؤال، لابدّ من دراسة الخُريبة؛ لمعرفتها، وبيان علاقتها بموضع المعركة.

لمّا نزل عتبةُ بنُ غَزوانَ البصرةَ، وأمدَّه عمرُ بنُ الخطّاب بالرّجال، بنى فيها سبعَ دَساكرَ: إثنان منها في الخُرَيبة[٢٢]. وبعد أن وطَّدَ عتبةُ اقدامَه في المنطقة، تحوَّلَ إلى منطقة الدَّهناء؛ إذْ حدَّد له فيها مكانًا للمسجد الجامع، ومحلاً لمقامه بعد عودته من الحَرب، وكانَ ذلك نواةَ مدينة البصرة[٢٣].

ومن الممكن الاستفادةُ من إشارة ابن الفقيه الى وجود قصرٍ في منطقة الخُريبة، بإثبات أنَّ هناك نقطةَ التقاءٍ بين الروايات التي ذكرت حدوثَ المعركة عندَ قصر عبيد الله بن زياد، وروايات حدوثها في الخُريبة، وكما أشرنا فيما سبقَ الى أنَّ من الممكن جدّا أنَّ قصرَ عبيدِ الله بن زياد يقعُ في منطقة الخُريبة نفسها، وأنَّ اتّخاذَ القصور فيها هو تقليد للقصور التي اتّخذَتها الأعاجمُ فيها من قبل.

وكذا نحن نعتقد أنَّ نسبةَ وقوع المعركة إلى قصر عبيد الله بن زياد إنَّما هو أمرٌ متأخّرٌ عن تاريخ المعركة؛ لأنَّ اتّخاذ عبيد الله بن زياد للقصر جاء بعد معركة الجمل، عند ولايته على البَصرة، لا سيّما مع ملاحظة وجود نصوصٍ تاريخيّة ذكرت وقوعَها في الخُريبة، أي: أنَّ النصوصَ التي دُوِّنت في زمن وقوعها، ذكرت أنَّ المعركةَ حدثت في الخُريبة ولم تذكر اسمَ قصرِ ابنِ زياد[٢٤].

ذكرَ ابنُ أعثمَ أنَّ طلحةَ والزبيرَ وعائشةَ أقاموا بموضع يقال لها الخُريبة، يديرون أمرهم وآراءهم بينهم[٢٥]، ولعلّ كتابَ أمير المؤمنين عليه السلام الى عامله على الكوفة خيرُ دليلٍ على وقوعها في الخُريبة؛ إذ كتب له: «من عبدِ اللّه عليٍّ، أمير المؤمنين، أمّا بعدُ، فإنّا التقينا في النصف من جُمادى الآخرة بالخُريبة – فناء من أفنية البصرة – فأعطاهُم اللّه عزّ وجلّ سنة المسلمين»[٢٦]، إذاً، وقوع المعركة في ناحية الخُريبة هو الأقرب إلى الواقع.

وممّا تجدرُ الإشارةُ إليه، أنَّ المعركةَ الكبرى لم تقع ضمنَ مَركزِ البصرة المتمثّل بموقع مسجدها، وهذا ما يمكن أن نستدلَّ عليه من جملة من الروايات، ذكرَ الطبريُّ أنّه «لمّا أصيبَ طلحةُ، قال لغلامه: إبْغِني مكانًا أنزل فيه، فدخل البصرة»[٢٧].

كذلك الروايةُ التي تقول: إنَّ جرحى أصحابِ الجملِ قد تسلَّلوا في جَوف الليلِ، ودخلَ البصرةَ مَن كان به طاقةٌ منهم[٢٨]. وكذا ذكرت الرواياتُ أنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام أقام في عسكره ثلاثةَ أيّام لم يدخل البَصرة[٢٩].

علاوة على ذلك، فإنَّ الخُريبةَ هي غيرُ البصرة التي يقع فيها المسجد، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من قول الإمام عليه السلام لمّا افتتَح البصرةَ مخاطبًا أهلها: «يا أهلَ البصرة، والبُصيرة، والسَّبخة، والخُريبة»[٣٠].

وممّا تجدر الإشارةَ إليه، أنَّ هناكَ روايةً ذكرت أنّ المعركةَ حدثت في ساحة الأَزد، ولكنْ، يبدو لنا أن ليس المقصود بها ساحة الأزد الواقعة ضمنَ خطّتها؛ لأنَّ هذه الخطّةَ تقعُ في الجزء الجنوبيِّ الشرقيِّ من البصرة[٣١]، بل المقصودُ بها ساحة الحدان، وهي إحدى بطون الأزد، وكانت لهم أكثرُ من خطّة واحدة، منها في الخُريبة[٣٢] ولا يُستبعد أن يكون ما ذُكر من (أنَّ عائشةَ في مسجد الحدان في الأزد) قد أريد به هذه الخطّة التي في الخُريبة؛ لأنّها الأقربُ على مَوقع المَعركة حسبَ الرأي القائلِ بوقوعها في الخُريبة. أضف الى ذلك أنَّ أحدَ الأشخاص قد بعثَ الى عائشةَ؛ ليخبرَها بوقوع القتال[٣٣]، وهذا ما يستغرقُ وقتًا طويلاً ليتحرّك من الجزء الشماليِّ حيث كانت المعركةُ إلى الجزء الجنوبيِّ الشرقيِّ؛ إذ لم تكن في خطّةِ الأزدِ، وعليه، فقد كانت في خطّة الأزدِ الحدانِ، التي تقع في الخُريبة، حيث كانت المعركة.

الخاتمة

نتيجةً لكثرة الرواياتِ وتداخلِها حولَ معركةِ الجملِ، فقد حصلت حالةٌ من الإرباكِ عند الباحثينَ الذين تحدَّثوا عن هذه المعركة، بل بعضُهم قد خلطَ ـ بشكل كبير ـ بين هذه المعركة ومعركةِ الجملِ الأصغر، الأمرُ الذي لم يمكّنهم من إعطاءَ حكم نهائيٍّ عن موضعها، فهل هي في الخُريبة؟ أم في الزابوقة؟ أم عند قصر عبيد الله بن زياد؟ وهل كانت في الجهة الشماليّة؟ أم الجنوبيّة؟ أم الغربيّة. وهي أسئلة قد أجيب عنها في هذا البَحث .

الهوامش

١- الانساب، ٢٥١/٥.

٢- ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩/٢.

٣- إبن الفقيه، كتاب البُلدان، ص٢٢٩.

٤- سيفُ بن عمر، الفتنةُ ووقعةُ الجمل، ص١٥٤.

٥- ياقوت الحمويّ، مُعجم البلدان، ١٢٥/٣.

٦- سيف بن عمر، المصدر السابق، ص١٥٤.

٧- البكريّ، مُعجم ما استُعجم، ٦٩١/٢؛ إبن الأثير، النهاية، ٢٩٤/٢.

٨- ذكرنا كلمة (تحديدًا) لعدم القطع؛ إذ من الممكن أن تكون بعضُ أطراف المعركة وصلت إليها خاصّة، وأنَّها تقع ضمن الرقعة الجغرافيّة التي ذُكر أنّ المعركة قد وقعت بها.

٩- الطبقات، ص٩٨.

١٠- أنساب الأشراف، ص٢٢٨.

١١- ذكرُ أخبار اصفهان، ٧٠/١.

١٢- سيف بن عمر، المصدر السابق، ص١٥٤.

١٣- خليفة بن خياط، تاريخ، ص١٣٦.

١٤- سيف بن عمر، المصدر السابق، ص١٥٤.

١٥- المصدر نفسه، ص١٥٥.

١٦- خليفة بن خياط، تاريخ، ص١٣٨.

١٧- الدَّيادِبة: فارسيّةٌ معناها: الراصدُ أو المراقبُ الذي يوضعُ في المسالحِ لرصدِ ما يحدثُ وإخبار المركز العسكريّ بذلك. كتاب البُلدان، ص٢٢٩.

١٨- ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص ٢٢٧-٢٢٨.

١٩- عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية، ص١٣٧.

٢٠- البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٢٨/٢.

٢١- اليعقوبي، تاريخ، ١٢٦/٢.

٢٢- إبن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٢٩.

٢٣- صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة، ص٣٧.

٢٤- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ٥٤٢/٤.

٢٥- الفتوح، ٤٦٣/٢.

٢٦- الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ٥٤٢/٤.

٢٧- المصدر نفسه،٥٠٨/٤.

٢٨- المصدر نفسه، ٥٣٧/٤

٢٩- المصدر نفسه، ٥٣٨/٤.

٣٠- إبن الفقيه، كتاب البلدان، ص٢٣٨.

٣١- صالح العليّ، خِططُ البصرة، ص١٠٨.

٣٢- سيف بن عمر ، المصدر السابق، ص١٥٤.

٣٣- الطبريّ، المصدر السابق، ص١٥٤.

مُعْجَمُ الجَمْهَرَة

ثاني عَمَلٍ موسوعيٍّ في تاريخِ العَرَب

قسطنطين تيودوري

إعداد ياسين اليوسف

في العَدد رقم ٢٥٣ (ديسمبر ١٩٧٩)، نشرَت (العربيّ) مقالاً للأستاذ قسطنطين تيودوري حول (الفراهيدي) – أوّل من قدَّم المعاجمَ عند العَرَب... وفي هذا المقال يعرضُ الأستاذُ قسطنطين لثاني المعاجم العربيَّة، الذي يحمل اسمَ الجَمْهَرَة.



صاحب مُعجم الجمهرة هو ابنُ دُرَيد الأزديُّ، الذي وُلد بالبَصرَة في خِلافة المُعتصم سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م، وأخذَ العلمَ عن جَماعة من كبار البصريّينَ في زمانه، كأبي حاتم السّجستانيِّ، وأبي الفضل الرياشيِّ، وعبدِ الرّحمن بنِ عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعيِّ، وغيرِهم. وكان ممَّن أكسَبوا مدرسةَ البصرة شهرةً وازدهاراً بتميُّزه بالعِلْم والشِّعر. ولزمَ البصرةَ حتّى سنة ٢٥٧هـ/٨٧١م حينَ هاجمَها الزُّنوجُ ونكّلوا بكثيرٍ من أهلها، فرحلَ عنها مع عمِّه الحسين، وقصد الى عُمان –وطنِ قومه الأزد–، فأقامَ بها اثنتَي عَشرَةَ سنةً، ثمَّ عادَ الى البَصرة، وبعدَ ذلك، خرجَ الى فارسَ، ووَفَدَ على عبد الله بن محمّد بن ميكال، وكانَ واليَ نيسابور عاصمةِ خُراسانَ، فنال حَظْوةً في عينَيه

وعينَي ابنِه إسماعيل، فمدحَهما بقصيدته المشهورة، وهناك ألَّفَ مُعجمَه (الجمهرة)، ولمّا عُزل إسماعيلُ سنة ٢٨٠هـ/٩٢٠م، قَدِمَ الى بغدادَ، وَعَيَّنَ له الخليفةُ المقتدرُ راتبا شهريّاً؛ ليتوفَّرَ على العِلم والتَّعليم.

ظَهرَ هذا المعجمُ في القرن الثالث للهجرة، وقال صاحبه في مقدّمته: وإنَّما أَعَرناه هذا الاسمَ؛ لأنّنا اخترْنا له الجُمهورَ من كلامِ العَرَب، وأرْجأْنا الوحشيَّ والمُستنكَر.

بَينَ الجَمهَرَة والعَين

نسجَ ابنُ دريد في تأليف مُعجمِه على منوال (العين) للخليل، إلّا أنَّ هناك اختلافاً بينهما من ناحية التّرتيب والتنظيم؛ فالخليلُ كانَ يجمعُ كلَّ الصّيغ التي تُشْتقُّ من مادّةٍ تحتَ مادَّتها، فاذا كانت اسماً، ذَكَرَ مفردَه وجمعَه، وإن كانت فعلاً، ذكرَ ماضيَه، فمضارعَه، فمصدرَه، ثمَّ الصفةَ منه، فهو من هذه الناحية يميلُ الى نوعٍ من التنظيم والتنسيق في معالجة هذه الصِّيَغ، بينما نرى صاحبَ الجمهرة يوزِّعُ صيغَ المادّةِ الواحدةِ على أبوابٍ مُتباعدة، ويحاولُ أن يربطَ بينَ الصّيغ الفرعيَّة والأصليَّة، ولكنَّه في آخرِ الأمرِ يغلبُ عليه التّشويشُ والفوضى؛ إذ كثيرا ما كانَ يبدأ بالفعلِ اللازمِ والمتعدّي والمُجرَّد، ويهملُ إهمالا تامّاً قضيّةَ الفعلِ، فلا يتطرَّقُ الى ذكرِ مَصدَره والصّفةِ منه. وفي الوقتِ نفسه، لا نجدُ عند ابنِ دريد الدقَّةَ والوضوحَ في تفسيره للقواعدِ الصرفيَّة والنحويَّة كما نجدُها عند الخليل الذي –وإن سبَقَه في الزَّمن- فاقَه في بَعض المَزايا.

على أنَّ لابنِ دُريد حسناتٍ ومميِّزات؛ فقد تجنَّبَ النظامَ الذي اتَّبَعه الخليلُ، فأهملَ ترتيبَ مُعجَمه على المَخارِج، وسارَ على الترتيبِ السّهل الشائعِ للألف باء، وابتكرَ تبويباً جديداً في الموادِّ نفسِها، وزادَ الأبوابَ اللغويَّةَ من المُعجم وصيغاً كثيرةً أهملَها صاحبُ العين. وكانت هذه الزيادةُ من الكثرة بحيثُ اعتمدَ عليها الموسوعيُّ الكبيرُ ابن التيانيِّ القرطبيّ في مُعجمه (الموعب)، الذي ظهر في صَدر القرنِ الخامس، وكانَ هذا المعجمُ من أضبطِ المعاجمِ وأصدقِها رواية.

لقد اقتبسَ ابنُ دريدٍ الشيءَ الكثيرَ في اللغةِ والأدبِ والتاريخِ، واستمدَّ الكثيرَ من الشّواهدِ القرآنيّة، وعنى بالمُعرَب والدخيلِ من الحبشيّة أو الروميّة أو السريانيّة والعبرانيّة أو النبطيّة أو الفارسيّة، وأوردَ أشياء في اللغةِ لم توجَد في كُتب المتقدِّمين على حدِّ قَولِ المسعوديِّ صاحبِ مُروجِ الذّهبِ، وأوردَ كذلك كثيراً من الألفاظِ من لغاتِ اليَمَن فاقَ بها الخليلَ، ومع ذلكَ، فقد رماه أبو منصورٍ الأزهريُّ (صاحبُ معجم تهذيبُ اللغة)، وأحمدُ بنُ فارس (صاحب معجم مقاييس اللغة) بافتعالِ العربيّة، وتوليد الألفاظ، وإدخالِ ما ليسَ من كَلام العَرَب في كلامِهم، وهذه التُّهمةُ التي رَمَياه بها لم تكن صَحيحةً؛ لأنّه لم يكن جامداً متزمِّتا في تفكيره كغيره من اللغويّين، وإنَّما كان ذا عقليّةٍ جبّارةٍ يزينُها التجديدُ والابتكار.

لقد كان ابنُ دريدٍ أكبرَ عُلماءِ عصرِه في اللغة، وأقدرَ النقّاد، لذلك كانَ يُطلق عليه (أعلم الشّعراء وأشعرُ العلماء). وكان ابنُ الطيِّب (اللغويُّ) يقولُ عنه في كتابه (مراتبُ النحويّين): «هو الذي انتهَت إليه لغةُ البصريّينَ، وكان أحفظَ الناسِ، وأوسعَهم علماً، وأقدرَهم على الشّعر، وما ازدحمَ العلمُ والشعرُ في صدرِ أحدٍ ازدحامَهما في صدر ابنِ دريد»[1]. وكانَ

رجالُ اللغة يحتجّون بأقوالِه، ويستندون إليها، منهم: أكبرُ الموسوعيّين وأوسعُهم شهرةً: ابنُ مَنْظور، الذي ضمَّ مُعجمَ (الجمهرة) الى جُملة ما ضمَّ من معاجمَ في مُعجمه الضّخم (لِسان العَرَب). ونظرا لقيمته اللغويّة، اختصره الصاحبُ بنُ عبّادٍ في كتابٍ سماهُ (الجوهرة).

الطعنُ في مُعجم الجَمْهَرة

لمْ يسلمْ هذا المعجمُ من مآخذِ اللغويّين ولَذَعاتِ النقّاد؛ فقد طعنَ فيه نفطوَيه أحدُ أئمَّة النّحو والأدب؛ مدَّعياً أنَّ كتابَ الجَمهرة مسروقٌ من كتاب العَين، إلّا أنَّ السيوطيَّ أنكرَ عليه ذلكَ بقوله: «ولا يُقبلُ فيه طعنٌ؛ لأنّه كان بينَهما منافرةٌ عظيمةٌ»، والحقيقةُ أنَّ نفطويه (٨٥٩-٩٣٥)م كانَ متحيّزا تحيُّزا شخصيّاً؛ اذ كان يكنُّ كراهيةً خاصّةً لابنِ دُريد؛ بسببِ مُعاقرته الخَمر. قال نفطويه هاجيا له:

ابنُ دريدٍ بقرَةٌ وفيه عيٌّ وَشَرَه
وَيدَّعي من حُمْقِه وضعَ كتابِ الجَمهَرَة
وهو كتابُ العينِ إلا أنَّه قَدْ غيَّرَه

فردَّ عليه ابنُ دريدٍ بقوله:

لو أُنزل الوحيُ على نَفطَوَيه
لكان ذلكَ الوحيُ سُخطا عليه
وشاعرٌ يُدعى بنصف اسمه
مستأهلٌ للصُّنع في اخدعَيْه
أحرقَه اللهُ بنصف اسمه
وصيَّرَ الباقي صراخاً عَليه

من هذه الأبيات، نستطيع أن ندركَ شاعريّةَ صاحبِ الجمهرةِ، الذي يذهب بالشّعر كلَّ مذهبٍ، فَطَورا يجذلُ، وطورا يرقّ، فاسمَعوه يقول:

غَرّاءُ لو جَلَت الخدودَ شُعاعُها
للشّمسِ عندَ طلوعِها لم تُشرِقِ
غُصنٌ على دَعص تأوَّدَ فوقَه
قمرٌ تألَّقَ تحتَ ليل مُطبقِ
لو قيلَ للحُسن: احتكمْ لمْ يعدُها
أو قيل: خاطبْ غيرَها لم ينطقِ
وكأنّنا من فَرعها في مَغربٍ
وكأنّنا من وَجهها في مَشرقِ
تبدو فيهتفُ للعيونِ ضياؤها
الويلُ حلَّ بمقلةٍ لم تُطبقِ

القصيدةُ المقصورة

وقد اشتَهر صاحبُ (الجمهرة) بقصيدته المقصورة، التي مدح بها آلَ ميكال، وهي تشتملُ على مائتين وثلاثة وخمسينَ بيتاً، ينتهي كلُّ بيتٍ منها بألفٍ مقصورة، ويقالُ: إنَّه أحاطَ في هذه القصيدة بأكثرِ المقصور. وقلَّده في هذا النوعِ من الشعرِ مَنْ جاء بعدَه من الشُّعراء، وعنى بشرحها والتعليق عليها عددٌ من كبار الشرّاح، منهم: محمّد بن أحمد بن هشام اللخميّ (٥٧٠هـ/١١٧٤م)، وأبو زكريّا التبريزيُّ (٥٠٢هـ/١١٠٨م)، والزمخشريُّ (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، والامامُ أبو عبد الله، محمّد بن جعفر، المعروف بالقزّاز، صاحب كتاب (الجامع) في اللغة (ت٩٥٣هـ/١٠٢١م)، وغيرُهم كثيرون.

ونظرا لشهرةِ هذه القصيدة، وتداولها بينَ الناس، نشرَها أحمد جَودَت المقدسيّ، المعروف بالعكاريّ الطرابلسيّ في طرابلس سنة ١٣١٩هـ، وترجمَها المستشرقون في القرنَين: الثامنَ عَشَرَ والتاسعَ عَشرَ، كما ترجمَها بعضُهم الى اللاتينيّة.

وقد خمَّسَ القصيدةَ المقصورةَ سعدُ بنِ عليّ

الأربليّ، وعبدُ الله بن عمر الأنصاريُّ، الوزيرُ (ت٧٧٧هـ/١٣٧٥م) وشرفُ الدين، الحسن بن الحسين بن علي وغيرهم، وأوردُ هنا كنموذجٍ لهذه القصيدةِ المشهورةِ ثلاثةَ أبياتٍ، مخاطبا فيها امرأةً يذكر لها مشيبَه وذهابَ أيّام لهوِه:

أما تَرى رأسيَ حاكى لونُه
طُرّةَ صبحٍ تحتَ أذيالِ الدُّجى

واشتعلَ المبيضُّ في مسودِّه
مثلَ اشتعالِ النارِ في جَزْلِ الغَضى

فكانَ كالليلِ البَهيمِ حَلَّ في
أرجائِه ضياءُ صبحٍ فانْجَلى

أمّا مطلعُها، فهو:

يا ظَبيةً أشبهُ شيءٍ بالمَها
تَرعى الخُزامى بينَ أشجارِ النَّقا

قَصائدُ أُخرى مشهورة

ولابن دريدٍ قصائدُ أخرى مشهورةٌ، منها: (المقصور والممدود)، نظمَها في خمسةٍ وعشرينَ بيتاً، يحتوي كلٌّ منها على كلمتَين متماثلَتين، إحداهما مقصورةٌ والأخرى ممدودةٌ، مع شرحِ فروقِ المعاني بينها في بعض الأحيان.

وله قصيدةٌ في ثلاثةَ عشرَ بيتا عن أعضاء الإنسانِ المذكَّرةِ والمؤنَّثة، وله أيضا قصيدةٌ على حرفِ الظّاء، نظمها سنة ٣١٦هـ، وموجودةٌ في المُتحف البريطانيّ.

وله مرثيَّتانِ: الأولى في الإمام الشافعيِّ، والثانية في ابنِ جَريرٍ الطبريِّ (ت٣١٠هـ/٩٢٣م)، ذكرهما الخطيبُ البغداديُّ (ت٤٦٣هـ/١٠٧٢م) في كتابه (تاريخ بغداد).

ولهُ قصيدةٌ يهجو فيها أبا نصرٍ، أحمدَ بن حاتم الباهليّ (ت٢٣٥هـ/٨٤٨م)، وله أيضا قصيدة يمدحُ فيها يحيى بن عبد الوهاب الكاتب.

ونُشر معجم (الجمهرة) في حيدر أباد بالهند في ثلاثةِ أجزاءٍ سنة ١٣٤٤هـ، وطُبع لها فهارسُ في جُزء رابعٍ، بعناية كلٍّ من: الشيخ محمّد السورتي، والمستشرق البريطانيّ كرنكوف (١٨٧٢-١٩٥٣)، ومنه مختصر لا يُعرف مؤلِّفُه موجودٌ في المتحف البريطانيّ، في قسم (براون للدراسات الشرقيّة).

وله غير (الجمهرة) كتبٌ كثيرةٌ، منها: كتابٌ مشهورٌ موضوعُه (اشتقاقُ أسماءِ القبائل)، يبحثُ في أسماءِ القبائلِ والعمائرِ وأفخاذِها وبطونِها وساداتِها وشعرائِها على شكلِ مُعجم، ويتضمَّنُ فوائدَ لغويّةً جمَّةً، ونشرَه المستشرقُ الألمانيُّ فردينان وستنفلد (١٨٠٨-١٨٩٩) في جوتنجين ببروسيا في جزءَين سنة ١٨٥٣-١٨٥٥، وقد نفدَت نسخُه، فأعاد نشرَه محقَّقا الأستاذُ عبد السلام هارون بالقاهرة عام ١٩٥٨.

وعرضَ لابن دريدٍ وهو في التسعين من عمره فالجٌ، فبرئَ منه، ثمَّ عاوَدَه بسبب غِذاءٍ ضارّ تناولُه، وتوفّيَ عام ٣٢١هـ، فيكونُ قد عاش ٩٨ سنةً، وقد رثاه جَحظةُ البرمكيُّ (٢٢٤-٣٤٢هـ) بقوله:

فَقَدْتُ بابنِ دريدٍ كلَّ فائدة
لمّا غدا ثالثَ الأحجارِ والتُّرَبِ

وكنتُ أبكي لِفَقدِ الجُود مُنفَرِدا
فَصِرْتُ أبكي لفقدِ الجُود والأَدَبِ

- قسطنطين تيودوري
- عمّان/الأردن.
- مجلّة العربي/ تشرين الأوّل/ ١٩٨٢

الهوامش

١- ينظر معجم الادباء ، ياقوت الحموي: ١٢٨/١٨، ينقله عن كتاب (مراتبُ النحويين) .

كبيرُ قُريشٍ في البَصرَة
(عَبدُ الله بنُ هاشِم المِرْقال)



حسين علي أيوب

- اسمُهُ ونسبُهُ

هو: عبدُ اللهِ بنُ هاشم المِرقال[1] بن عتبة بن أبي وقّاص، الزهريّ[2]. كانَ كبيرَ قُريشٍ في البَصرة، ورَأسَ الشِّيعة فيها، وكانَ أبوه هاشم (المرقال) بن عتبة بن أبي وقّاص، القائدَ الجريءَ المِقدام، الذي لَقيَ منهُ معاويةُ في صِفّين الرُّعبَ المُميتَ، وهو يَومئذٍ على مَيْسرةِ عليٍّ عليه السلام[3].

- مَكانتُهُ

ذَكرَ السّيّدُ هاشمُ معروف في كتابه (الانتفاضات الشيعيَّة) أنّه: «كانَ عبدُ الله بنُ هاشم المِرقالُ في طليعةِ أولئكَ الأبدالِ الذين خَطَّطَ لهم مُعاويةُ ودعيُّه ابنُ سميّة لاستئصال شيعةِ عليٍّ عليه السلام؛ لأنّه كان من أعيانهم وزعمائِهم الأبطالِ الذين لم يخضَعوا لغير الحَقّ، ولا يهابون أحداً على حِسابِ المبدأ والعقيدةِ،

وممّن يَرَون أنّ البراءةَ من عَليٍّ وآلِ عليٍّ عليه السلام تعني البراءةَ من الإسلام ومن محمّدٍ صلى الله عليه وآله ورسالته، ومهما نَسيَ معاويةُ، فَلم ينسَ مواقفَ أبيه هاشم المرقال في صفّين وبطولاته، التي كادت أنْ تؤدّي إلى هزيمة جيشه لولا مكيدة رفعِ المصاحفِ على رؤوس الأَسِنّة والرِّماح، التي دبّرها عمرو بن العاص.

لقد كانت الشّهادةُ تنتظرُ عبدَ الله بن هاشم المرقالَ كما ينتظرُها هو بنفسٍ مطمئنّة، وعزيمةٍ ثابتةٍ صادقةٍ لا تزحزحُها العواصفُ، ولا تُزيلها القواصفُ، كما كانَ أبوه هاشمٌ المرقالُ ينتظرُها بنفس الرّوح والعزيمَة»[٤]، وكانَ مع هاشم المرقالِ لواءُ عليٍّ عليه السلام، فلمّا قُتلَ، أخذَ اللِّواءَ ولدُه عبدُ الله، وهو يَقول[٥]:

أهاشمُ بنُ عتبةَ بنِ مالك
أعزز بشيخٍ من قُرَيشٍ هالِك
تخْبطُه الخيلاتُ بالسّنابك
في أسْوَدٍ من نَقْعِهِنَّ حالِك
أبْشِر بحورِ العين في الأرائك
والرَّوحِ والرَّيحان عندَ ذلك

- خطبتُهُ بعدَ شَهادة أبيه

ثمّ إنّ عبدَ الله حمدَ اللّهَ وأثنى عَليه، ثمّ قالَ: «أيُّها النّاس، إنّ هاشماً عبداً من عبادِ اللّهِ الذين قدَّر أرزاقَهم، وأَحصى أعمالهَم، وقَضى آجالهَم، فدعاهُ اللّهُ ربُّه الذي لا يُعصى، فأجابَه، وسلّمَ لأمرِ اللّهِ، وجاهدَ في طاعَةِ ابنِ عمِّ رسولِ الله، وأوّلِ مَن آمَنَ به، وأفقههم في دينِ الله، المخالفِ لأعداءِ الله المستحلّينَ ما حرَّم اللّهُ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفَساد، واستحوذَ عليهم الشّيطانُ، فزيَّن لهم الإثمَ والعدوانَ، فحقَّ عليكم جِهادُ مَن خالفَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وعطَّلَ حُدودَ الله، وخالفَ أولياءَ الله، فجودوا بمُهَجِ أنفسكم في طاعةِ اللّهِ في هذه الدّنيا، تُصيبوا الآخرةَ والمنزلَ الأَعلى، والملكَ الذي لا يَبلى، فلو لم يكنْ ثوابٌ ولا عقابٌ ولا جنّةٌ ولا نارٌ، لكانَ القتالُ مع عليٍّ أفضلَ من القتال مع معاويةَ ابنِ آكلةِ الأَكباد، فكيفَ وأنتم ترجونَ ما ترجونَ؟!»[٦].

مَوقفُ الحكّام الظلَمة منه

لمّا تمَّ الأمرُ لمعاويةُ بعدَ استشهادِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، بعثَ زيادَ بنَ أبيه على البَصرة، ونادى منادي معاويةَ: أمِنَ الأَسودُ والأحمرُ بأمانِ الله ، إلّا عبدَ اللّهِ بن هاشم بن عُتبة!

فمكثَ معاويةُ يطلبُه أشدَّ الطلب، ولا يعرفُ له خَبراً، حتّى قدمَ عليه رَجلٌ من أهلِ البَصرة، فقال له: أنا أدلُّكَ على عبدِ الله بنِ هاشم بنِ عُتبة، أُكتب إلى زيادٍ، فإنّه عندَ فُلانةَ المخزوميّة! فدعا كاتبَه، فكتبَ: مِن معاويةَ بن أبي سُفيان أميرِ المؤمنين، إلى زيادِ بن أبي سُفيان، أمّا بعدُ، فإذا أتاكَ كتابي هذا، فاعمدْ إلى حيِّ بني مخزوم، ففتِّشه داراً داراً، حتّى تأتيَ إلى دارِ فلانةَ المخزوميّة، فاستخرجْ عبدَ الله بن هاشم المرقالَ منها، فاحلقْ رأسَه، وألْبِسْه جبّةَ شَعْر، وقيّده، وغُلّ يدَه إلى عُنُقه، واحملْهُ على قَتَبِ بَعيرٍ بغيرِ وِطاءٍ ولا غِطاء، وانفذْ به إليَّ...، فاقتحمَ الدّارَ، واستخرجَ عبدَ الله منها، فأنفذَه إلى معاويةَ، فوصلَ إليه يومَ الجُمعة. فلمْ يشعُر معاويةُ إلّا وعبدُ الله بين يَديه، وقدْ ذبُلَ، وسَهِمَ وجهُه، فعرَفَه، ولم يعرفْه عمرو بنُ العاص، فقالَ معاويةُ: يا أبا عبدِ الله، أتعرفُ هذا الفتى؟ قال: لا،

قال: هذا ابنُ الذي كانَ يقولُ في صفّين:

إنّي شَرَيْتُ النفسَ لمّا اعْتلا
وأكْثَرَ اللَّومَ وما أقلا

أعورُ يبغي أهلَه محلا
قدْ عالَجَ الحَياةَ حتّى مَلا

لا بدّ أنْ يفُلَّ أو يُفلا
أشَلُّهم بذي الكُعوب شلا

لا خيرَ عندي في كَريمٍ ولى

فقال عمرو متمثّلاً:

وقدْ يَنْبُتُ المَرعى على دِمَنِ الثَّرى
وتبقى حَزازاتُ النّفوسِ كما هيا

دونَك - يا أمير المؤمنين - الضبّ المضبّ، فاشخَبْ أوداجَه على أثباجِه، ولا تردَّه إلى أهلِ العراق؛ فإنَّه لا يصبرُ على النِّفاق، وهم أهلُ غَدرٍ وشِقاق، وحزبُ إبليسَ ليومِ هيجاء، وإنّ له هوى سيُرديه، ورأياً سيُطغيه، وبطانةً ستقوِّيه، وجزاءُ سيِّئة سيِّئةٌ مثلُها .

فقالَ عبدُ اللّه: يا عمرو، إنْ أُقتَلْ، فرجلٌ أسلَمه قومُه، وأدركَه يومُه، أفلا كانَ هذا منكَ إذ تحيدُ عن القتال ونحنُ ندعوك إلى النِّزال، وأنت تلوذُ بسِمالِ النّطاف، وعقائقِ الرّصاف، كالأمَةِ السّوداء، والنعجةِ القوداء، لا تدفعُ يدَ لامسٍ!

فقال عمرو: أمَا واللّه، لقدْ وقعتَ في لهاذمٍ شَذقم للأقران ذي لبد، ولا أحسبُك منفلتاً من مخاليب أميرِ المؤمنين.

فقال عبدُ اللّه: أمَا واللّه يا ابنَ العاص، إنّكَ لبَطرٌ في الرّخاء، جبانٌ عند اللِّقاء، غَشومٌ إذا وُلّيت، هيّابةٌ إذا لُقيت، تَهدرُ كما يهدرُ العَوْدُ المنكوسُ المقيّدُ بين مجرى الشّولِ لا يُستعجلُ في المدّة، ولا يُرتجى في الشِّدّة، أفلا كانَ هذا منكَ إذا غمرَكَ أقوامٌ لم يُعنَّفوا صِغاراً، ولم يُمزَّقوا كباراً، لهم أيدٍ شدادٌ، وألسنةٌ حدادٌ، يدعمونَ العِوَجَ، ويُذهبون الحَرَجَ، يُكثّرونَ القليلَ، ويَشفونَ الغليلَ، ويُعزّون الذليلَ!

فقال عمرو: أمَا واللّه، لقدْ رأيتُ أباكَ يومَئذٍ تخفقُ أحشاؤه، وتبقُ أمعاؤه، وتضطربُ أطلاؤه، كأنّما انطبقَ عليه صَمد.

فقال عبد اللّه: يا عمرو، إنّا قدْ بلوناكَ ومقالتَك، فوجدنا لسانكَ كَذوباً غادراً، خلوتَ بأقوامٍ لا يعرفونك، وجندٍ لا يساموَنك، ولو رِمْتَ المنطقَ في غيرِ أهلِ الشّام، لجحَظَ إليكَ عقلُك، ولتَلَجْلَج لسانُك، ولاضْطَربَ فخذاكَ اضطرابَ القَعود الذي أثقلَه حملُه.

فقال معاويةُ: إيهاً عنكُما، وأَمَرَ بإطلاقِ عبدِ اللّه، فقال عمرو لمعاوية: أمرتُك أمراً حازماً، فعصيتَني، وكانَ من التوفيق قتلُ ابنِ هاشم، أليسَ أبوهُ - يا معاوية - الذي أعان عليّاً يوم حَزِّ الغَلاصم، فلمْ ينثن حتّى جَرَت من دمائنا بصفّين أمثالُ البُحور الخَضارم، وهذا ابنُه، والمرءُ يُشبه شيخَه، ويوشكُ أن تقرعَ به سنّ نادم! فقال عبد اللّه يجيبه:

معاويَ إنّ المرءَ عَمراً أبَتْ له
ضغينةُ صَدرٍ غشُّها غيرُ نائمِ

يرى لكَ قتلي يا ابنَ هندٍ وإنّما
يرى ما يرى عَمرو ملوكُ الأعاجمِ

على أنّهم لا يَقتلونَ أسيرَهم
إذا مَنَعَتْ عنهُ عُهودُ المسالمِ

وقدْ كان منّا يومَ صفّين نَفرةٌ
عليكَ جناها هاشمٌ وابنُ هاشمِ

قَضى ما انقضى منها وليسَ الذي مَضى

ولا ما جَرى إلّا كأضغاثِ حالمِ

فإنْ تعْفُ عنّي تعفُ عن ذي قرابةٍ

وإنْ تَرَ قتلي تستحلَّ محارمي

فقال معاويةُ:

أرى العفوَ عن عُليا قريشٍ وَسيلةً

إلى اللهِ في يَومِ العَصيبِ القَماطرِ

ولستُ أرى قَتلي الغداةَ ابنَ هاشم

بإدراكِ ثأري في لؤيٍّ وعامرِ

بل العفوُ عنه بعدما بانَ جُرمُه

وزلَّتْ به إحدى الحُدودِ العوائرِ

فكان أبوهُ يومَ صفّين جَمرةً

علينا فأردتْه رماحُ النّهابرِ

فيلاحظُ أنَّ معاويةَ كانَ يَتحالم؛ لأنّه لا يريدُ أنْ يفتحَ معركةً مع بني زُهرةَ، فيكونُ لهم ثأرٌ عندَه بقتلِ ابنِ المِرقال. أمّا عمرو العاص، فلا يعرفُ الحُلم ولا التّحالم[٧].

- سَياسةُ بني أُميّةَ تجاهَ أهلِ البَيت عليهم السلام وأتباعهم

نلاحظُ أنّ السِّياسةُ الأمويّة تجاهَ أهلِ البيت عليهم السلام وأتباعهم، قد تميَّزت بالشِّدّةِ والقسوةِ في أغلب فَترات حُكم الدّولة الأمويّة، فأخذَت تتابعُ تحرّكاتهم، وتَفتكُ بهم في جَميع الأمصارِ التّابعةِ لها، وهي أوّلُ مَن سَنَّ لَعنَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام على المنابرِ، وعند كلِّ صَلاة، والنّيلَ من محبِّيه، وكانت تعلمُ بالأهمِّيّة الاستراتيجيّةِ لمدينة البصرة؛ لذلكَ، أحكمتْ سيطرتَها المطلقةَ عليها بأساليبِ الرّعبِ والتخويفِ كافّة، وما اختارت لولاية هذا المنطقة إلّا ممَّن تميَّز بالولاءِ المطلق للدّولةِ الظالمةِ والبطشِ بالرّعيّة.

الهوامش

١- لقّب بالمرقال لأنّه كان يرقلُ في الحَرب، أي: يُسرع. راجع: عبّاس القمّي، الكنى والألقاب: ٣/ ١٨٠.

٢- مُحسن الأمين، أعيان الشّيعة: ٨/ ٨٩

٣- راضي آل ياسين، صلح الحسن عليه السلام: ص٣٥١.

٤- هاشم معروف الحسنيّ، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ، ص٣١٩.

٥- ابن مزاحم المنقري، وقعة صفّين: ص٣٤٨.

٦- محسن الأمين، أعيان الشّيعة: ١/ ٤٩٨.

٧- عليّ الكورانيّ العامليّ، قراءة جديدة للفتوحات الإسلاميّة: ٢/ ٢٨٥.

البَصرَةُ وبِدايةُ اهتماماتِها ببَعضِ العلوم

مُقتبسٌ من كتاب (الأوائلُ في البَصرَة)، للأستاذة الدكتورة سلمى الهاشميّ

علمُ الحَيوان

علمُ الحيوان هو علمٌ باحثٌ عن أحوالِ خَواصِّ أنواعِ الحيواناتِ، وعجائبِها، ومنافعِها، ومضارِّها، وموضوعُه جنسُ الحيوانِ، البريِّ والبحريِّ ، والماشي والزاحفِ ، والطائرِ وغيرِ ذلك ، والغرضُ منهُ التداوي والانتفاعُ بالحيواناتِ، والاحتماءُ عن مضارِّها، والوقوفُ على عجائبِ أحوالها وغرائبِ أفعالها[١].

وعندَ مُتابعةِ أخبارِ عُلماء البصرةِ للوقوف على بداياتِ اهتمامِهم بعلمِ الحيوان، ظهر أنَّ أوَّلَ من أظهرَ الاهتمامَ بهذا العلمِ في البَصرَة إياسُ بن معاويةَ المُزَنيُّ (ت ١٢١ هـ / ٧٣٨ م)؛ فقد أدلت المصادرُ بالعديدِ من الإشاراتِ الرائعةِ، التي تؤكِّد معرفةَ إياسٍ بأحوالِ وأوضاعِ الحيواناتِ وعجائبِها ، تلكَ المعرفةُ التي عُزِّزت بمشاهداتِه واخضاعِه لبعضِ الحيواناتِ للتجربةِ والمُراقبة، ووصفِه العلميِّ الدقيقِ لخواصِّها ومنافعِها وعجائبِها، أمثال: الكلب ، الديك ، السمك ، القُمَّل، وغيرها[٢].

وقد صنّفَ المدائنيُّ (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٩م) كتاباً بعنوان (زَكَنُ إياس)[٣]، كشفَت رواياتُه عن مدى براعةِ إياسٍ في علم الحيوانِ[٤]، وربّما يكون إياسٌ قد صنّفَ كتاباً في الحيوان ولكنَّ المصادرَ لم تصرِّح بذلك.

وكانَ أولُ كتابٍ صُنِّفَ في الحيوان ذلك الذي صنّفهُ أبو عبيدةَ، معمرُ بنُ المثنّى (ت ٢٠٨ هـ أو ٢٠٩ هـ / ٨٢٣ م أو ٨٢٤م)[٥]، غير أنَّ هذا الكتابَ في عِداد المفقوداتِ ، وأوَّلُ كتاب في الحيوان سَلِمَ من نَوائبِ الزّمن ووصلَ إلينا، هو كتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م) .

عِلمُ النُّجــوم

علمُ النُّجوم هو علمٌ يُعرفُ به الاستدلالُ على حوادث عالم الكَونِ والفسادِ بالتَّشكيلات الفلكيَّة ، وهي أوضاعُ الأفلاكِ والكواكبِ، كالمقارَنَة، والمقابلَة، والتّثليث، والتّسديس، والتّربيع، إلى غير ذلك ، وينقسمُ الى ثلاثة أقسام : حِسابيّاتٌ ، طَبيعيّاتٌ، ووَهْميّات[٦].

وقد برز اهتمامُ أهلِ العَرَب في مجالِ النّجوم والأفلاك؛ لما لها من أهمّيّة في حياتِهم وتجارتِهم ، وبهذا الصّدد، رُوي عن الرسول ﷺ قولُه : « إنَّ مَثَلَ العُلماء في الأرض كمَثَلِ النُّجوم في السَّماء ، يُهتدى بها في ظُلُمات البرِّ والبَحر ، فاذا انطمَسَت النجومُ، أوشَكَ أن تضلَّ الهُداة »[٧].

ومن الذين برَعوا في عِلمِ النّجوم بالبصرةِ: دغفلٌ النسّابةُ (ت ٦٥هـ/ ٦٨٤م) ، ونظراً لعلوِّ منزلتِه في العِلمِ، فقد بعثَ إليهِ معاويةُ بن أبي سفيانَ، فسأله عن النجومِ، وكلَّفَه أن يتولّى تعليمَ وَلَدِه يزيد النّجوم ، فضلاً عن الأنساب[٨].

وكان أوّلُ من ألَّفَ كتاباً في الأنواءِ[٩] بالبصرة العالمَ مؤرّجَ السَّدوسيَّ (ت ١٩٥ هـ / ٨١٠ م) وعُرف كتابه باسم (الأنواءُ في عِلمِ السّماء)[١٠].



الهوامش

١- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج١ ، ص٦٩٥ .

٢- ينظر : سلمى عبد الحميد الهاشمي ، أخبار القضاة لوكيع، ص ٨٣ .

٣- الميدانيّ ، أبو الفضل، أحمد بن محمد النيسابوريّ (ت ٥٨١ هـ) : مجمعُ الأمثال (المطبعة الرضوية المقدسة / د.ت) ، ج١ ، ص٣٣٩ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج٢ ، ص٩٥٥ ؛ وأسماه ابنُ النديم كتابَ (أخبار إياس بن معاوية) ، ينظر : الفهرست ، ص ١١٧ . والزكن : هو الظنّ الذي هو عندك كاليَقين ، والزّكَن : التفرُّس والظنُّ ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص١٩٨ .

٤- سلمى عبد الحميد الهاشمي ، أخبار القضاة لوكيع ، ص ٧٩ – ٨٠ .

٥- ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٨ – ٥٩ .

٦- حاجي خليفة ، كشفُ الظنون ، ج٢ ، ص١٩٣٠ .

٧- ابن حنبل ، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) : مسند أحمد بن حنبل (دار صادر – بيروت / د.ت) ، ج٣ ، ص١٥٧ .

٨- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١٧ ، ص٢٩١ – ٢٩٢؛ ابن الأثير ، أُسَدُ الغابة ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ المزّيّ ، تهذيبُ الكمال ، ج٨ ، ص٤٨٩ .

٩- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٨ (مقدّمة المحقّق) ، ابن النديم ، الفهرست ، ص٥٤ ؛ ابن خلّكان ، وفيّات الأعيان ، ج٥ ، ص٣٠٤ .

١٠- البغداديّ ، هديّة العارفين ، ج٢ ، ص٤٢٦ .

وَصفُ البَصرَة

في رِحلةِ سيزار فيدِريجي بين حَلَب والبَصرَة

(١٥٦٣-١٥٨١م)



مِن بابلَ رَكبتُ إحدى هذه المراكبِ الصغيرة، التي تَتهادى في نَهرِ دجلة بين بابلَ والبَصرة، وهي مماثلةٌ للفوستات أو الغاليوتات[١]، ولها جؤجؤٌ[٢] ومؤخّرةٌ مغطّاة. وهم لا يستخدمون مضخّات؛ لكونها مكسوّةً بالزّفت (القار) تماماً؛ لمنع دخول الماء.

ويتمّ جلبُ هذا الزّفت (أو القار) من سَهلٍ واسعٍ بالقربِ من مدينة هيت[٣] ، الواقعةِ على نَهر الفُرات، وتبعدُ عن بابلَ يومين. ومنظرُ هذا السهلِ المليءِ بالقارِ من العَجائب، وهو شيءٌ لا يُصدَّق تقريباً؛ لأنَّ القارَ يخرجُ من فوَّهةٍ في الأرضِ بشكلٍ متواصلٍ إلى الهواءِ، مع دخانٍ كثيفٍ مُتواصِل؛ وبسببِ شدَّةِ حرارتِه،

يتساقطُ مُتناثراً على السّهل بأكمله بغزارة كبيرة، حتّى أنَّ من السهولة أن تراه ممتلئاً بالقار دائماً[٤].

ويزعم سُكّان المنطقة المجاورة من المسلمين والعرب، أنَّ هذه الفوّهة ما هي إلا (فوّهةُ الجَحيم)، والحقيقةُ أنّها موضعٌ جديرٌ بالذكر.

ويستخدمُ أهالي تلكَ المنطقة كلُّهم هذا القارَ المحليَّ أو البيتومين كثيراً في جَلفَطةِ قواربهم[٥]، التي يسمّونها (دانق) و(سفينة)[٦].

وحينما يمتلئُ نهرُ دجلةَ بالماءِ ثانيةً، يمكنُ أن يتمّ الانتقالُ من بابلَ أو بغدادَ[٧] إلى البصرةِ في غُضون ثمانيةِ أو تسعةِ أيّام، أو أقلّ أو أكثرَ من ذلك بحَسب الظروف. أمّا نحنُ، فقد استغرقنا أربعةَ عَشرَ أو خمَسةَ عَشر يَوماً[٨]؛ لأنَّ منسوبَ الماء كانَ منخفضاً. وعندما يكون منسوبُ الماء في أدنى مُستوىً له، تستغرقُ الرحلةُ ثمانيةَ عشرَ يوماً. ولعدم وجود صُخورٍ أو مياهٍ ضَحلةٍ في النهر، يمكنُ أن تستمرَّ الرحلةُ ليلاً ونهاراً. وهناك بعضُ الأماكن في الطريق عليكَ أن تدفعَ فيها الكثير من (المعدنّي) عن كلّ رزمة، كمَكْسٍ أو ضريبةِ كُمرُك.

البَصرَة

تقعُ مدينة (باصورة)، أو (بوصورة)، أو (بُصْرا)[٩] (على خطّ عَرض ٣٠ درجةً و٢٠ دقيقة طول شمالاً، و٤٧ درجةً و٤٠ دقيقة شرقاً)، على الجانبِ العربيِّ من نقطة التقاءِ نَهرَي الفُرات ودجلة، وكانت فيما سبقَ تحتَ حُكم العَرَب، الذين يُطلق عليهم عربُ (الأزيرج)[١٠]، ولكنّها الآنَ تحتَ سيطرةِ التركيِّ الأعظم[١١]، الذي يحتفظُ بقوّة عسكريّة كبيرة هناك. ولا تزالُ القبيلةُ العربيّةُ التي تسمّى (عرب الجزيرة) تستحوذُ على مساحةٍ واسعةٍ من هذه المنطقة[١٢]، ولا قِبلَ للأتراكِ بالتغلُّب عليها؛ لأنَّ البحرَ يقسمُ منطقتها إلى جُزُرٍ متعدّدةٍ بوساطة الكثيرِ من القَنوات. لذا، فالأتراكُ غيرُ قادرين على توجيه أيِّ جيشٍ ضدَّها، سواءً براً أو بَحراً، ولأنَّ سكّانَها شجعانٌ، ومجبولون على الحرب أيضاً.

وقبلَ يوم واحد[١٣] من الإبحار قبلَ وصولنا إلى (باصورة)، نجتازُ قلعةً أو حصناً يسمّى (القُرنة)[١٤]، عند نقطةِ الأرضِ التي يرتبطُ فيها نهرُ الفُرات بدجلة؛ حيثُ تشكّل المياهُ المتّحدةُ لهذين النهرين نهراً كبيراً جدّاً يجري في خَليج فارس[١٥].

تبعدُ البصرةُ خمسينَ ميلاً[١٦] عن البَحر[١٧]، وهي مَركزٌ تجاريٌّ عظيمٌ؛ لا سيّما بالتوابل والعقاقيرِ التي تُجلبُ إليها من هُرمُز. وتتوافرُ فيها الذرةُ والرزُّ والتمورُ، التي تُنقلُ إليها من المنطقةِ المحيطةِ بها.

ومن البصرةِ أبحرتُ إلى هُرمُز عبرَ خَليج فارسَ بعد أن قطعتُ (٦٠٠) ميل، وهي المسافةُ بين البصرة وهرمز. وقد أبحرنا بسفن صغيرةٍ مبنيّةٍ من ألواحٍ مربوطةٍ ببعضِها البعض بواسطةِ حبالٍ أو أسلاك، ويُحشّى نوعٌ معيّنٌ من التّبنِ بينَ المسافاتِ التي تتخلَّلُ تلكَ الألواح، ثمَّ تُخاطُ الحبالُ أو الأسلاكُ ببعضِها، ولأنَّ بناءَها غيرُ مُحكَم، فإنَّ هذه المراكبَ خطرةٌ جدّاً، ويتسرَّبُ الكثيرُ من الماء إلى داخلها.

وعندَ مغادرتنا من البَصرة، أبحَرنا بمسافة (٢٠٠) ميلٍ بمحاذاةِ الساحلِ الأيسرِ للخليج، في حين كانت الجهةُ الأخرى[١٨] المفتوحةُ من البحر على جهتنا اليمنى، حتّى وصلنا إلى جزيرةٍ تدعى (خرج)، أو (خارج)[١٩]، ومن هناك واصلنا رحلتَنا إلى هُرمُز،

وكانَ الشاطئُ الفارسيُّ دوماً على الجهة اليُسرى من مَرمى بَصَرنا، في حين كنّا نشاهدُ الكثيرَ من الجُزُر على الجهة اليُمنى باتّجاه شبهِ الجزيرةِ العربيّة.

الهوامش

١- صنفٌ من السّفن التي كانت تستخدم في مدينة البندقيّة الإيطالية.

٢- الجؤجؤ: مقدّمة المركب أو السّفينة. استخدَمَ الرحّالةُ تعبيرَ (speron) بحروف مائلة، الذي بقيَ غيرَ مُترجم وغيرَ موضَّح في ترجمة هيكوك وهاكليوت. أنظر الترجمة الإنكليزية للرحلة، ص١٤٧.

٣- وردت في النصّ الإنكليزيَ بصيغة (Heit). وذكرَ ياقوتُ الحمويُّ عنها أنّها بلدةٌ على نهر الفرات من نواحي بغداد فوقَ الأنبار، ذاتُ نخلٍ كثيرٍ وخيراتٍ واسعة، وهي مجاورةٌ للبرّيّة، طولُها من جهة المغرب (٦٩) درجةً، وعرضُها (٣٢) درجةً ونصفٌ وربعٌ، وهي في الإقليم الثالث، أنظر: مُعجَم البُلدان، ج٥، ص ص٤٢٠-٤٢١.

٤- إن هذا الوصفَ للفوّهة التي تطلقُ القارَ أو البيتومينَ الممزوجَ بالماءِ يطابقُ الواقعَ؛ إذ يجري الماءُ والقارُ في منطقة سهليّة، فيتخلّفُ القارُ، في حين يذهبُ الماء ليندمجَ مع مياه نهرِ الفراتِ، التي تكونُ في تلك المناطق ذاتَ طعمٍ مالحٍ كريهٍ ممزوجٍ برائحةِ الفوسفات.

٥- البَرْك (bark): مركبٌ بثلاثة صَوارٍ.

٦- وردت في النصّ الأصليّ بصيغة (Daneck and Saffin).

٧- هنا يذكر الرحّالةُ مدينةَ بغدادَ بالاسم لأوّل مرّة في رحلته.

٨- يبدو من خلال هذه الإشارة أنّ الرحّالة لم يدوّن مشاهداته أثناءَ تجواله، وإنما بعد عودته إلى بلادِه؛ إذ نراه يعتمدُ هنا على التخمين والتذكّر.

٩- هكذا وردت في النصّ الأصليّ: (Basora, Bussora, or Busrah)، وكلّها تعني (البصرة).

١٠- وردت في النصّ الأصليّ بصيغة (زيزاريج (Zizarij))، وربّما المقصودُ بهم عشائرُ الإزيرج المعروفة في محافظات ميسانَ والبصرةِ والسماوةِ وغيرها من المحافظات الجنوبيّة، وهو الإحتمالُ الأرجحُ كما جاء عن التسمية في كتاب عباس العزّاوي، عشائر العراق، الجزء الثالث، (بلا)، ١٩٥٥، ص٧٢-٧٦. أو ربما يقصد بها الرحّالةُ عرَبَ الجزيرة أو الجزائر أو الجزاير (أو الجوازر) كما تُلفظ بالعامّيّة؛ إشارةً إلى مناطق الأهوار في جنوبي العراق. وقد أشار إلى التعبير الأخير المؤرّخُ وليم فلور في كتابه المعنون (الخليج الفارسيّ)، قائلاً: ((كانت البصرةُ خاضعةً لعرب الزيزاريج (Zizarig)، أي: عرب الجزاير (Jazeyer). أنظر:

Willem M. Floor, The Persian Gulf: A Political and Ecoomic History of Five Pert Cities 1500-1730, 2006, p. 154;

ونرجّح الاحتمال الأوّلَ فيما يخصُّ هذا التعبير؛ فهو الأقربُ إلى الواقع. أمّا في ترجمة الأب الدكتور بطرس حدّاد، فقد وردت بصيغة (العرب الجزائريون)؛ إذ ذكر في ترجمته ما يأتي: «أمّا العربُ الجزائريّون، فلهم بلدٌ كبيرٌ، ويرفضون الخضوع للحكم التركيّ، الذي لا يستطيع إخضاعَهم؛ لما في بلدهم من قنواتٍ كثيرةٍ تتّصل بالبَحر... الخ»، أنظر ترجمته للرحلة، ص١٦٦.

١١- لقبٌ يُطلقُ على السلطان العثمانيّ، وكان حينذاك السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥).

١٢- أصبحت هذه المنطقةُ خاضعةً لحكم العرب تحتَ قيادة الشيخ راشد بن مغامس بدءاً من سنة (١٥٩٤). وقد ذكر العقيدُ البريطانيُّ جيسني، الذي زار المنطقة خلال السنوات (١٨٣٥-١٨٣٧): «أنّ اتّحاد عشائر المُنتفك تمكّن بقيادة ابن مغامس من احتلالِ ميناء البصرة فعلاً. لكنَّ الأوروبيّين الذين اعتادوا التجوُّل في شوارع البصرة لم يكونوا على بيّنة من أنَّ أولئك الأشخاص المتسكّعين ذوي العباءات الرثّة هم عربُ الأهوار، لذا، كانت رؤيتُهم في محيطهم الأصليِّ مثارَ إعجابٍ لبعضِهم ومصدرَ خوفٍ للبعض الآخر». أنظر: كافن يونغ، العودةُ إلى الأهوار، ترجمة: حسن الجنابي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق – بيروت، ١٩٩٨، ص٦٨.

١٣- الجملةُ في النصّ الإنكليزيّ فيها التباس؛ إذ وردت كالآتي: (A days sail before coming to Bassora)، ونعتقد إن حرف (s) بعد كلمة (day) خطأ مطبعيّ على الأرجح. وبخلافه، فإن حرف (A) في بداية الجملة زائد. ولكنّ الأرجحَ هو الإحتمال الأوّلُ؛ انسجاماً مع سياق النصّ ومعناه. أنظر النصّ الإنكليزي، ص١٤٧.



١٤- وردت في النصّ بصيغة (Corna). ولم يذكرها ياقوتُ الحَمَويُّ، وهي مدينة القرنة الشهيرة جنوبيّ البصرة، ومحلّ التقاء نهرَي دجلة والفرات، وتكوّن شط العرب.

١٥- يقصد شطَّ العرب.

١٦- ورد في ترجمة الأب الدكتور بطرس حدّاد سهواً أنّها تبعد خَمسةَ عَشرَ ميلاً عن البَحر. أنظر ترجمته للرحلة، ص١٦٧.

١٧- يقصدُ الخليجَ العربي.

١٨- يقصدُ شبهَ الجزيرة العربية.

١٩- (خرج) أو (خارك)، وردتا في النصّ الأصليّ بصيغتَي (كاريجي (Carichij)) و(كارك (Karak))، وهما اسمان لجزيرة (خَرْج)، الواقعة عند النهاية العليا للخليج العربيّ. ذكر ياقوتُ الحمويُّ أنّها (كارك)، جزيرةٌ في وسط الخليج العربيّ (سمّاه الفارسي)، وهي جبلٌ عالٍ وسط البحر، إذا خرجت المراكبُ من عبّادانَ باتّجاه عُمان، وطابت بها الرياحُ، وصلت إليها في يوم وليلة، وهي من أعمالِ فارِس، يقابلُها في البّر جنابةُ ومهروبان، تنظر هذه من هذه للجيِّد النّظر، فأمّا جبالُ البرّ، فإنّها ظاهرةٌ جدّاً، وقد جئتُها غيرَ مرّةٍ، ووجدت أيضاً قبراً يُزار ويُنذر له، يزعم أهل الجزيرة أنّه قبر محمّد بن الحنفية ﷺ، والتواريخ تأبى ذلك. أنظر: الحمويّ، مُعجم البلدان، ج٢، ص٣٣٧.

أضواءٌ على ذَخائرِ نفائسِ المخطوطاتِ البَصْريّة

مخطوطةُ (قَلائِدُ الغِيد)

الشيخ مدرك الحسّون

من عَجائب ما كُتب، وغَرائب ما خُطَّ ووُجدَ بمداد النّون والقَلَم، وبسحْر بيان الفَصاحة والأدَب، وبزينة وجمال القلائد المصوغة، والدُّرر المنظومة: المخطوطةُ المُسمّاةُ (قَلائدُ الغِيد)، لناظِمها، الأديبُ السيّدُ عليّ بن باليل، الحُسينيّ نسباً، والجزائريُّ مَسكَناً، والدَّوْرَقيُّ مولِداً ومدفَناً.

إسْمُه ونَسَبُه

هو السيّدُ عليّ بنُ الأمير الجليل السيّد باليل الموسويّ (ت١٠٦٠ هـ)، إبن السيّد إسماعيل بن السيّد إبراهيم بن السيّد محمد المُشَعْشِع، إبن السيّد فلاح، إبن السيّد هبة الله، إبن السيّد حسن، إبن علم الدين السيّد عليّ المرتضى النسّابة (ت ٧١٩هـ)، إبن السيّد جلال الدين عبد الحميد (ت ٦٨٤هـ)، إبن النسّابة الفاضلِ السيّدِ فخار بن مَعدّ الموسويّ (ت ٦٣٠ هـ)، من أعلام القرن السّادس الهجريّ،والعالمُ المعروفُ في عُلماء مذهبِ أهلِ البيت عليهم السلام، إبن الشريف أبي جعفر مَعدّ، إبن السيّد فخار، إبن السيّد أحمد، إبن السيّد محمد، إبن السيّد أبي الغنائم محمد، إبن السيّد أبي عبد الله الحسين الشيتيّ، إبن السيّد محمد الحائريّ، إبن السيّد إبراهيم المُجاب، إبن السيّد محمد العابد دفين شيراز، إبن الإمام الكاظم عليه السلام.[1]

وهو أديبٌ نحويٌّ، عالمٌ بالشّعرِ والبلاغةِ، ذو منزلةٍ وقدرٍ في العلمِ والفضلِ، من علماءِ القرنِ الحادي عَشَرَ، ومن خيرةِ أبناءِ زمانِه، زكيُّ النّفس، طاهرُ اليَد، زاهدٌ، وَرِعٌ، من أبناءِ أمراءِ المُشعْشعِين، ومن سلالةِ الدّوحةِ الهاشميّةِ، ينتهي نسبُه إلى السّبط الثاني لرسول الله ﷺ، وهو من عُلماء القرن الحادي عشر الهجريّ.

بَرَعَ في العلومِ العربيّة حتّى صارَ نحويّاً محقّقاً ولغويّاً مدقّقاً، وتضلَّع في الشعرِ والبلاغةِ، فأجادَ وأبدعَ في نظْمِ الشّعر والقصائدِ، إنْ نَظَم، صاغَ جَواهرَ ودُرَراً، وإنْ نَثَرَ، رمى حِكَماً ودُرراً، وإنْ تكلَّمَ، كان بيانُه سحراً، وخطابُه شعراً.

لم يكسِبْ بشعرِه شيئاً من حُطام الدنيا، بل ترفَّعَ عن مَدحِ الوُلاةِ والمُلوك، واقتصرت مدائحُه على مدحِ خالقِ الأكوان، وأتمَّها بمدح آله المطهَّرين في القرآن.

هِجرتُه ونَشأتُه

شملَ نفوذُ الدولة المشعشعيّة (التي حَكمت أكثرَ من خمسمائة عام (٩١٤هـ - ١٥٦١هـ) مناطقَ واسعةً، وحكمت رقعةً كبيرةً، فقد شملت جنوبَ غربِ إيران، وجنوبَ شرقِ العراقِ، وشمالَ شبهِ الجزيرة العربيّة، وفي عَهدِ المولى المبارَك بن عبد المطّلب (أحد أمراءِ الدولة المشعشعيّة)، شهدت المنطقةُ نهضةً علميّةً واسعةً؛ إذ فَتح العديدَ من المدارس الدينيّة والتعليميّة، وطَلب من أهلِ العلم المجيءَ إلى الحُوَيزَة، وأحسنَ إليهم، ومن الذين هاجروا إليها هم آباءُ وأجدادُ المترجَم له، فقد كان والدُه وجدُّه السيّدُ إسماعيلُ والسيّدُ إبراهيمُ من أهل العلم والفضل، وقد قال عنهم من ذكرَهم : كانوا أنواراً يَهتدى بهم كثيرٌ من الناس.

وممّا يؤسفُ له أنّ التاريخَ لم يسجّل لنا زمانَ ومحلَّ ميلادِه،إلّا أنّه من خِلالِ القرائنِ وبعض الوقائعِ التاريخيّةِ، يمكن أن نقول بولادته في النصف الثاني من القَرن العاشر الهجريِّ؛ لأنّ والدَه السيّدَ باليل تُوفّي في حدود سنة (١٠٦٠هـ)، بل يمكن أن نقول بأنّه كان مولوداً في النصف الأوّل من القرن العاشر؛ لأنّه كان معاصراً لابنِ معتوقٍ، السيّدِ شهابِ الدين أحمد بن ناصر الموسويّ، شاعرِ العراقِ، المتوفّى عام (١٠٨٧هـ)؛ فقد جاء في ديوانه أنّه تُوفّي:«وله من العُمر اثنتان وستّون سنة»[٢]، وعليه، يكون زمانُ ولادته في عام (١٠٢٥هـ)، خصوصاً أنّ السيّد عليّ باليل كان معاصراً له أيّام كهولته كما نقلَ ذلكَ صاحبُ مستدركات أعيانِ الشّيعة، نقلاً عن حفيد المترجَم له عن تذييل السُّلافة[٣].

وكذا يمكنُ أن يكون محلُّ ولادته وأوّلُ مجيئه الى الدنيا في محلّ إقامةِ والده في الحُويزة،وأمّا نشأتُه، فالظاهر أنّه نشأ في منطقة العَرْجَة[٤]؛ لأنّ والدَه السيّد باليل كان من أمراء السيّد مبارك ابن السيّد مطّلب الحويزيّ المشعشعيّ، المتوفّى (١٠٢٦ هـ)، وله مواقفُ مشهورةٌ في أحداثِ ووقائعِ حكومة السيّد مبارَك.

وبعدَ وَفاة السيّدِ مباركٍ، اضطربت الأحوالُ في الحُويزة، واختلّت الأمورُ، وتفرَّقَ السادةُ والأمراءُ والمشعشعون، فأمَّ حسن آغا حاكمُ العرجة والجوازر[٥] سبعين فارساً من مشعشعي الحُويزة أحدهم الأمير باليل[٦].

وهكذا، انتقلَ الأميرُ باليلُ والدُ السيّد عليٍّ من

الحُويزة إلى منطقة العَرجةِ والجَوازِرِ في عَشرةِ الثلاثينَ بعدَ الألفِ للهِجْرة، وعلى هذا، يكونُ السيّدُ عليَ باليل وُلد في الحُويزة وتربّى ببيت العلم والفضل، ونشأ في منطقة (الجوازر والجزائر)، وأمّا محلُّ أقامته في أيّام كهولته، فقد قال حفيدُه، السيّد هادي بن السيد ياسين: " إنّنا نجدُه مقيماً أيّام كهولته في الجزائرِ، معاصراً للسيّد أبي معتوق، شهاب الدين الموسويّ الحويزيّ، ومن أعيانِ حكومةِ حُسين باشا بن علي باشا الديريّ، حاكمِ البصرةِ والجزائرِ (١٠٥٧ ١٠٧٨ هـ) "[٧].

وبقي مقيماً فيها إلى أن تفرَّقَ أهلُ الجزائرِ بعدَ هجوم الجيش العثمانيِّ على البصرة والجزائرِ، الذي انتهى بهزيمة حُسين باشا وفرارِ الأهالي، بعدها، كرّ السيّدُ علي بن باليل يسكنُ الدّورَقَ القَديمةَ، فهي وطنُه الثاني، وظلَّ يقطنُها حتّى تُوفّيَ فيها سنة (١١٠٠هـ) ونَيّف.

دورُه السّياسيّ

كان السيّدُ عليّ باليل من أعيان حكومةِ حسينِ باشا ابن علي باشا الديريّ، حاكمِ البصرةِ والجزائرِ (١٠٥٧ ١٠٧٨ هـ)، وفي سنة ألفٍ وستٍّ وسبعينَ هجريّة، لمّا تظاهرَ حسين باشا المذكور بالعصيان على الدولة العثمانيّة، سيَّرت هذه الدولة إليه جيشاً قوامه ثمانون ألفَ مقاتلٍ بقيادة إبراهيم باشا، فحاصروا البصرةَ والجزائرَ ستّةَ أشهر، وكان حسين باشا صامداً حتّى ضاق صدرُ إبراهيم باشا، وأخذَ يوجّه المدافعَ إلى القلعة المتحصّن بها حسين باشا، وشرعَ بالرّمي من طلوعِ الشمسِ إلى وقتِ الزوال، فلم تعمل في تلك القلعة، فرأى إبراهيمُ باشا المصلحةَ بالصّلح، فأرسلَ إلى حسين باشا بذلك، فوجّه حسين باشا جماعةً من أعيانه وفي جملتهم السيّد علي بن باليل إلى إبراهيم باشا للمذاكرة في الصّلح، وانتهى الأمرُ بفكِّ الحصارِ، وعودةِ الجيشِ العثمانيّ إلى اسطنبول، وفي سنة (١٠٧٨ هـ) حاصرَ الجيشُ العثمانيُّ البصرةَ والجزائرَ مرّةً أخرى، وأدى الحصارُ إلى هزيمة حسين باشا وفرار الأهالي هذه المرّة[٨].

آثارُه العلميّةُ والأدبيّة

له آثارٌ علميّةٌ وأدبيّةٌ كثيرةٌ تشهدُ على علوِّ درجته في العُلوم والأدب، منها ما لم نعثَر عليه في الكتب، ومنها ما لم يُطبَع، ومن آثاره:

١ - المُستَطابُ في شَرح كتابِ النَّحو لسيبويه المعروف بـ (الكتاب).

قال الشيخُ آقا بزرك الطهرانيُّ: «المستطابُ (أو شرحُ كتاب سيبويه) الملقب بالكتاب المستطاب في علم النّحو مبسوطاً، للسيّد علي بن باليل الحسينيّ الجزائريّ، المتوفّى حدود نيِّف ومائةٍ بعد الألف للهجرة. فرغَ منه قبل سنة (١٠٩٥ هـ)، والنسخةُ موجودةٌ في خزانة كتب السيّد حسن الصّدر، بخطِّ عبد الرّضا بن أحمد الجزائريّ»[٩].

٢ - نُبْذةُ بُنُود[١٠]

ذكرها البحرانيُّ في كَشكوله، وعِدَّتُها مائةٌ وخمسون بَنداً، وعدّها مصنِّفُها مئةً وعشرةَ بنود، كما جاء ذلك في مقدّمتها : «هذه نبذةُ بنودٍ قد بنَدْتُها على بَحر الرَّمَل، وعدّتها مئةٌ وعشرةُ بنود غَزَلاً ومَدْحاً، وقد وضعتُ كلَّ بندٍ منها على أربعينَ كلمة، اسماً كانت، أو فعلاً، أو حرفاً، مشيراً في كلٍّ منها إلى مسألةٍ علميّةٍ أو صناعةٍ بديعيّةٍ وإلى كلّ الأمرين على المعيّة...»[١١].

٣ – القِلادَة

قَصيدةٌ في الحِكَم، شرحَها معاصرُه الشيخُ فتحُ الله بن علوان الكعبيُّ الدورقيُّ، المتوفى (١١٣٠هـ)، وأسماه (الإجادةُ في شرح القِلادَة)، سلكَ فيه مسلكَ الصَّفَديّ في شرح لاميّة العَجَم للطغرائيّ[١٢].

وهي على قَرار البُنود الخمسةِ للشاعر ابنِ مَعتوقٍ في ديوانه، التي ساقَها في مدحِ والي الحُويزةِ، السيّد بركةِ بنِ منصور، إلّا أنّ القلادةَ أنضجُ معنىً ومبنىً، وأكثرُ عدداً[١٣].

٤ – قَلائدُ الغِيد (الكتاب الذي بين أيدينا)

وهو منظومةٌ شعريّةٌ في الأدبِ العرفانيِّ الرفيع، ومِن كتب المترجَم له التي لم يُعلم شيئاً عنه إلّا متأخراً، قال حفيدُه السيّدُ هادي ابن السيّد ياسين: «وحتّى الشيخُ آقا بزرك الطهرانيُّ، الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل التعرُّف على مؤلَّفات الشيعةِ وآثارِهم، فاتَه أن يذكرَ شيئاً عن هذه القلائدِ في موسوعته (الذريعةُ إلى تصانيف الشّيعة)، بينما أشارَ إلى القَصيدة الموسومة بالقِلادةِ التي مرَّ ذكرها، وكنت منهمكا في التفتيش عن آثار علمائنا السَّلف، وخاصّة آثار أولئك الذين يمتّون إلينا بصلة في النَّسب، فكاتبتُ أكثرَ خزائنِ الكتب الحديثةِ والقديمةِ، مستفسراً عن تأليف السيّدِ عليّ بنِ باليل، فلم أعثَر لها على أثَر، وبعدَ أن حصلَ لي اليأسُ في شأن العثور عليها، اتَّفقَ لي أن زرتُ السيّد محمّد الجزائريّ في جمادى الثانية عام (١٣٩٢) في بيته في الأهواز، وسألته عمّا إذا كان قد عثرَ على قَصيدة القِلادة للسيّد بن باليل، فعبَّرَ عن أسَفه لعدم عثوره عليها، لكنّه أخبرني أنّه يحتفظُ بكتابٍ من آثار السيّد بن باليل اسمه (قلائدُ الغيد)، وما إن سمعتُ منه هذا، حتّى كدتُ أطيرُ فَرَحاً؛ لشدّة اشتياقي إلى مطالعَته وتصفُّحه، فحمدتُ اللّه وشكرتُه على أنّي كنتُ أبحثُ عن قِلادةٍ واحدةٍ، فمنحني اللّهُ سبعَ قلائد»[١٤]

طُبعَ الكتابُ في طهران (١٣٥٨ش)، وعليه تصحيحُ هادي ياسين الحسينيّ[١٥].

أبرزُ عُلماءِ أسرته من آبائه وأجداده

١- النسّابةُ السيّدُ عليّ بن عبد الحميد الحائريّ، الملقّب بـ(علم الدين المرتضى)، المتوفّى سنة (٧١٩هـ)، من أعلام أوائل القرن الثامن الهجريّ[١٦].

ذكره الحرُّ العامليُّ في أَمَل الآمِل، وقال: «فاضلٌ، فقيهٌ، يروي ابنُ معيّة عنه، عن أبيه، عن جدّه فخار»[١٧].

وذكره الشهيدُ الثاني أيضاً، فقال: «السيّد الجليل، النسّابةُ، علم الدين، المرتضى بن السيّد جلال الدين عبد الحميد بن السيّد النسّابة الطاهر الأوحد فخار بن مَعدّ الموسويّ»[١٨].

ذكره الزبيديُّ في تاج العروس، فقال: «عَلَمُ الدِّين، عَلِيّ بنُ عَبْد الحَميد، الرَّضِيّ، المُرْتَضَى، النَّسَّابَةُ، إمامُ النَّسَب في العِراق، كان مُقيماً بالمَشْهَد، وماتَ بهَرَاة خُرَاسَانَ، وهو عُمْدَتُنا في فنِّ النَّسَب، وأَسانيدُنا مُتَّصِلَة إليه»[١٩].

له كتابُ: الأنوارُ المضيئةُ في أحوال الحجّةِ الغائبِ المنتظرِ عَجّلَ اللّهُ فرجَه الشريف[٢٠].

روى عنه الشهيد الثاني بواسطة شيخه السيّدِ تاجِ الدين بن معيّة،عن السيّد المرتضى علي بن السيّد جلال الدين عبد الحميد بن فِخار الموسويّ، عن أبيه، عن جدّه فِخار، عن شاذان بن جبرئيل، عن العماد الطبريّ، عن أبي عليّ، عن والده[٢١].

من تلاميذه: السيّدُ، العلّامةُ، النسّابةُ أحمد

بن محمد بن المهنى بن علي بن المُهَنّى الحسينيّ العبيدليّ[٢٢]، والسيّد تاج الدين محمّد بن القاسم بن معيّة، المتوفّى سنة (٧٧٦هـ).

٢- السيّد جلال الدين عبد الحميد الحائريّ الحليّ، المتوفّى سنة (٦٨٤ هـ).

ذكره الشيخُ الحرُّ العامليُّ في أَمَل الآمِل، وقال: «كان فاضلاً، محدّثاً، راويةً، يروي عن تلامذة ابنِ شَهْرِ آشوب، عنه، له كتابٌ ينقلُ منهُ الحسنُ بنُ سلمان بن خالد الحليّ في مختَصَر بصائرِ الدّرَجات، للصفّار»[٢٣].

ذكره الأفنديُّ في الرياض، وقال: «عبد الحميد بن فِخار: هو السيّدُ، النسّابة، وزينُ مِسنَد النقّابة، جلال الدين، عبد الحميد بن السيّد شمس الدين شرف الأشراف أبي علي فِخار بن مَعدّ بن فِخار بن أحمد العلويّ الحسينيّ الموسويّ الحائريّ الحلّي، من أجلَّة علمائنا وأفاخمهم»[٢٤].

ذكره إبراهيمُ بنُ محمّد الحَمَوينيُّ أيضاً، فقال: «فخرُ مشايخنا الجلَلَة، نسّابةُ عصره، وقدوةُ أساتذة الإفتاءِ في مِصره، السيّد جلال الدين عبد الحميد بن فِخار بن مَعدّ الموسويّ»[٢٥].

يروي عن أبيه فِخار بن مَعدّ، وعن غيرهما،[٢٦] وممّن يروي عنه رضيُّ الدين عليّ بنُ عبد الكريم بن السيّد أحمد بن طاووس[٢٧].

وكذلك هو من مشايخ الحمويني صاحبِ (فرائدِ السِّمْطَين) في الرواية؛ فقد ذكر الحمويني في كتابه المذكور أنّه يروي عن السيّد جلال الدين عبد الحميد نسّابة عصره، عن والده شيخ الشرفِ فِخار بن مَعدّ، عن شاذان بن جبريل القمّيَ[٢٨].

٣- السيّد فِخار بن مَعدّ الموسويّ، المتوفّى (٦٣٠هـ)، من أعلام القرن السادس الهجريّ.

وفِخار على ما ضبطه البهائيُّ في حواشي أربعينه بفاءٍ مكسورةٍ، وخاءٍ معجمةٍ، وآخره راء، ومَعدّ بميم مفتوحة وعين مهملة ودال مشددة.

«كان من أجلَّة رواة الاماميّة، فقيهاً، نسّابةً، أديباً، ينظمُ الشعر»[٢٩]، وكانَ من عظماء وقته في الدين والدنيا، ولم يخلُ منه سندٌ من أسانيد علمائنا.

قرأَ على جمعٍ من العلماءِ، منهم: ابنُ إدريس صاحبُ السرائر، وشاذانُ بن جبرئيل القميّ.

يروي عن جماعةٍ من الأعلام، منهم: والدُه مَعدّ بن فِخار، وقريش بن سُبيع الحسينيُّ، العمادُ محمّد بن القاسم الطبريّ، والشيخ عربيّ بن مُسافر، والفقيهُ يحيى بن الحسن بن البطريق (المتوفّى ٦٠٠ هـ)، والشيخُ أبو طالب، عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد السميع الهاشميّ الواسطيّ .

ويروي عنه جماعة، منهم : ولدُه عبدُ الحميد بن فِخار، وجعفرُ بن الحسن المعروف بالمحقّق الحِلّيّ، ويحيى بنُ سعيد الحلّي، وعليُّ بن موسى بن طاووس الحسني الحلّيُّ، وأحمد بن موسى بن طاووس، ومفيد الدين بن جهيم الأسدي (المتوفّى ٦٨٠ هـ)، ويوسف ابن المطهر والد العلّامة الحِلّي، وقد وصفه الشيخ النوري فقال: «السّندُ، النسابة، شيخ الشرف شمس الدين ابو علي فخار بن معد الموسوي»[٣٠].

وقال المجلسي: «وهو من أعاظم محدثينا، وداخل في أكثر طرقنا الى الكتب المعتبرة»[٣١].

وهو مؤلِّفُ كتاب: (الحجّةُ على الذاهبِ إلى تكفيرِ أبي طالب)، وهو كتابٌ شريفٌ في إثبات إيمانِ أبي طالب عليه السلام.

وكان هذا السيّدُ الجليلُ من أعلام القرن السّادس، ومعاصراً للشيخ عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزليِّ، صاحبِ شرحِ نهج البلاغة، وقد عرضَ عليه الكتابَ المذكورَ، وكتب عليه أبياتاً، وإليك نصَّ عبارة ابن أبي الحديد في شرح النهج، قال: «وصنَّفَ بعضُ الطالبيّين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالبٍ، وبعثَه إليَّ، وسألني أن أكتبَ عليه بخطّي نظماً أو نثراً أشهدُ فيه بصحَّة ذلك، وبوثاقةِ الأدلَّةِ عليه، فتحرَّجتُ أن أحكمَ بذلكَ حكماً قاطعاً؛ لما عندي من التوقُّف فيه، ولم أستجِز أن أقعدَ عن تعظيمِ أبي طالبٍ؛ فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أنّ حقَّهُ واجبٌ على كلِّ مسلم في الدنيا إلى أن تقومَ الساعة، فكتبتُ على ظاهر المجلَّد :

ولولا أبــو طـــالب وابنُه
لما مَثُلَ الدينُ شَخْصاً فقاما

فذاكَ بـــمكَّةَ آوى وحـــامى
وهذا بيثربَ جَسَّ الحِماما

تكفَّلَ عبــدُ منـــاف بأمرٍ
وأوْدى فكانَ عليٌّ تماما

فَقُلْ في ثَبير مَضى بعد ما
قضى ما قضاه وأبقى شِماما

فـللّه ذا فـاتحـا للهـدى
ولله ذا للمعالي خِتاما

وما ضرَّ مجدَ أبـــي طالبٍ
جَهولٌ لغا أو بَصيرٌ تَعامى

كما لا يضرُّ إيـــاةَ الصّبـــاح
من ظنّ ضوءَ النهار الظَّلاما»[٣٢].

٤- مَعدّ بن فِخار.

وهو من أعلام الطائفة في وقته، راويةٌ للحديث، فقد روى عنه ولدُه فِخار، وله قصّة في إجازة الرواية لولده هذا في صِغر سنِّه عن السيّد جمالِ الدين بنِ طاووس؛ فقد ذكر زينُ الدين، الشهيدُ الثاني رحمه الله ذلك، فقال : ذكرَ الشيخُ جمالُ الدين، أحمدُ بنُ صالح السيبيُّ رضي الله عنه: «أنَّ السيّد فِخار الموسويَّ اجتاز بوالِدِه مسافرا إلى الحجّ، (قال): فأوقفَني والدي بين يدَي السيّد - يريدُ السيّدَ جمالَ الدين بنَ طاووس - فحفظتُ منهُ أنّه قال لي: يا ولدي، أجزتُ لكَ ما يجوزُ لي روايتُه، وستعلم فيما بعدُ حلاوةَ ما خصصتُكَ به..»[٣٣].

٥- فِخارُ بنُ أحمد الموسويّ

ذكره الزبيديُّ، فقال: «شَمْسُ الدِّين، فِخارُ بنُ أَحْمَدَ بنِ محمّد المُوسَوِيّ، النَّسّابَةُ، وحَفيدُه جَلالُ الدِّين، فِخارُ بنُ مَعدّ بنِ فِخار النَّقيبُ النَّسّابةُ، ووَلَدُه عَلَمُ الدِّين، عبدُ الحَميدِ بنُ فِخار، من مَشايخِ أَبي العَلاءِ الفَرَضِيّ، تُوُفِّيَ سنة ٦١٩، ذكره المُصَنّف في (ح ا ر)، وَوَلَدُهُ رَضِيُّ الدِّين، عليُّ بنُ عَبْدِ الحَميد، مات بِهَرَاةِ خُرَاسانَ: مُحَدِّثُون»[٣٤].

٦- السيّدُ حسنُ بنُ السيّدِ عليٍّ المرتضى

ذكره الشيخُ حِرزُ الدين في مَراقد المَعارف، وقال: «هو السيّدُ حسن الجبيليُّ البصريُّ بن عبد الله بن علم الدين عليّ المرتضى، النسّابة بن جلال الدين بن عبد الحميد بن فِخار بن شمس الدين بن مَعدّ بن فِخار بن أحمد بن أبي الغنائم، محمّد بن الحسين الشيتيّ بن محمّد الحائريّ بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام»[٣٥].

والملاحظُ فيه: أنّ الشيخَ جعلَه ابنَ السيّدِ عبدِ الله بن السيّد عليّ المرتضى، والمترجَم له هو السيّد حسن

بن السيّد عليّ المرتضى، علاوة على ذلك، فقد ذُكر للسيّد حسن الجبيليّ نسبٌ آخرُ :وهو السيّد حسن الجبيليُّ البصريُّ الأحسائيُّ بن علي بن محفوظ بن ثابت بن موسى بن محطم بن منيع بن سالم بن فاتك بن عليّ بن سالم بن عليّ بن صبره بن موسى العصيم بن عليّ الخواريّ بن الحسن الثائر بن جعفر الخواريّ بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

لكن لم يُعرف مصدره سوى وجودُه في أحد المواقع الالكترونية [٣٦].

مَوضوعُ المَخطوطة

(شعرٌ/عربيٌّ) عِدّةُ الجَميع سَبعُ مائةٍ وثمانيةَ عَشرَ بيتاً، وقد ذكر مؤلِّفها علَّةَ تأليفها في مقدّمتها قائلاً: «فلمّا كانت القصيدةُ الرائدّةُ الشهيرةُ بالعبدونيّة التي أوّلهُا:

الدّهر يفجعُ بعدَ العَينِ بالأثرِ
فما البكاءُ على الأشباحِ والصّورِ

والقصيدةُ السينيّة التي أوّلهُا:

تَسَلَّ بأُنسِ الله عن صُحبةِ الناس
لعلّك أن تَرقى إلى ذروةِ النّاس

والقصيدةُ الحائيّةُ التي أوّلهُا:

الأمرُ جِدٌّ وهْوَ غيرُ مَزاحِ
فاخترْ لنفسكَ صالحاً يا صاحِي

كلماتٌ قد اشتملنَ على الألفاظِ الفصيحةِ، والتراكيبِ الصحيحةِ، واحتوينَ على بعضِ الوَعظ والتحذيرِ من غدرِ الزَّمانِ العسيّ، وذكرِ ما وقعَ في بعضِ الفِرَقِ الخالية من ذلٍّ وصَغار، وهُلْكٍ وبَوار على طريقتَي النُّصح والتَّحذير، وكنَّ مع ما جُمع من حُسنِ النّظم وعُذوبة الكَلِم غيرَ شافياتٍ فيما قصدنَ إليه، ولا كافياتٍ فيما احتوينَ عليه، بل قد أتينَ على اليسير من اليَسير، ونَكَبْنَ عن الكثير من الكَثير، سنحَ لي أن أنظمَ على البحرِ البَسيطِ قصيدةً كثيرةَ الفوائد، عليّةَ المقاصدِ، تجمعُ بين الإيجاز غيرِ المخلِّ والإطنابِ غيرِ المُملِّ، ما تفرَّقَ في كُتب شتّى من كُتب الأخبارِ الشهيرةِ الدائرةِ، وأسفارِ التواريخِ، والسِّيرِ المستفيضةِ السائرَة..»

وقد ذكر مصنِّفُها أنّه لمّا عزمَ نظمَ القصيدة التامّةِ، خطرَ بباله أن يجعلَها في سبعِ قَصائدَ؛ لكثرةِ المطالبِ الواردةِ عليها، وخوفاً من كثرة تكرار القوافي المتّحدة، فجاءت القصيدةُ الأولى (وعِدّتُها مئةُ بيت) في الوَعظِ والنصائح، وأدرجَ فيها ذكرَ كثيرٍ من الأبنيةِ، والهياكلِ، والأمم القديمةِ، والمدنِ العظيمةِ، وختمَها بذكرِ من دَمّرَ الجُدرانَ من الفَلاسفةِ واليونانِ والسَّحَرة والكُهّان، وبعضِ مختلفي العقائدِ والأديان، وبعضِ حُكماء الأبدان، ومهندَسي ذلكَ الزّمان.

وجَعلَ القصيدةَ الثانية (وعِدّتُها مئةٌ واثنانِ وثلاثونَ بيتاً) في ذكرِ الأُممِ الفانيةِ، والأعصارِ الخاليةِ، وفي مصارعِ المُلوك، والأقيالِ، والقبائلِ، والأقبلِ، والأجيالِ، ومشاهيرِ الرجالِ ممَّن تقدَّم عصرُه على عصرِ فخرِ الرسالة.

والقصيدةُ الثالثة عِدّتُها مئةٌ وخمسةَ عَشرَ بيتاً، جاءت في ذكرِ الحُكّامِ والملوكِ، والكبارِ، والسّادةِ والقادةِ، والأبرارِ، والأُمراءِ، والوزراءِ، والعُلماء، وحُكَماءِ المسلمينَ، والمنجِّمينَ من أولي الاقتدارِ، مُخوّفا من رَيْبِ الزّمان، ومحذّراً من طَوارقِ الحَدثان.

والقصيدةُ الرابعةُ عِدّتُها سبعةٌ وثمانونَ بيتاً، في ذكرِ الصوفيّةِ المعروفينَ، أو من تابعيهم، ممّن وصلت أخبارُهم إلينا، وتُليت آثارُهم عَلينا.

والقصيدةُ الخامسةُ (وعِدّتُها ثلاثةٌ وثمانونَ بيتاً)، جعلَها في ذكر عُشّاقِ المَجاز من الجنسيّين، متعرِّضاً لذكر مصارعِهم، وبعضِ أخبارهم، ومُطْنِبا في أواخرِ القصيدةِ بذكرِ المَجنون.

والقصيدة السادسة (وعِدّتُها مئةٌ وثلاثةُ أبيات)، جعلها في الغزَل والتشبُّب، وابتدأ فيها بذكر الشّباب متشوِّقاً إليهِ أو كالنيائحِ في رِثاه عليه، ثمَّ أخذَ بوصفِ الحبيبةِ بمَعانيَ غريبةٍ وأساليبَ عجيبةٍ يجذبان القلبَ إلى الكآبة، ويدعوان الشيخَ إلى الصّبابة، ثمَّ عطفَ إلى ذكر الأربعِ الخاليات، والأطلالِ الباليات، وذكرِ كلِّ حبيبةٍ تغزّلَ الشُّعراءُ بها، ثمّ انصرفَ إلى ذكرِ الحَمام ذي النّوحِ المستدام إلى يوم القيامة، واطنبَ في وصفِ حالاتِها على مُرور أوقاتِها، وختمها بعوَجِ الأيّام والشهورِ، وعَرَجِ الأزمنةِ والدّهور؛ معلناً بالتّخويفِ منها، والتحذيرِ عنها.

القصيدة السابعة (وعِدّتُها ثمانيةٌ وتسعونَ بيتاً)، جعلَها في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن ضدّه، والحثِّ على الأعمالِ الصالحة، والزّجرِ عن الأفعالِ الطّالحة؛ مُدخلاً للمَواعظِ النافعةِ في خِلالها، ومازِجاً مُرَّ النصائحِ في عَذبِ زُلالها، مُكثراً من ذكرِ عَثَراتِ الدّهرِ وهفواتِه وسطواتِه في الشّريف الرفيعِ والوَضيع.

وكذا ذكرَ مصنِّفُها في مقدّمتها، أنّه حاول أن يكتبَ لها شَرحاً تعمُّ به الفائدةُ، ويكثرُ به الطلبُ، وتحنو إليه فحول الأدبُ، لكنْ، أعجزَه المرضُ من ذلك، بعدها طلبَ والتمسَ من فُضلاء العِلم القيامَ بهذه المهمّة، كما وعليها تعليقةٌ لحفيدِ الناظمِ، وهو السيّدُ هادي آل باليل.

أوّلُ المَخطوطة

«اللهُ أحمدُ ناظمٍ، عقدَ الكائناتِ على الوَجهِ الأتمِّ، ومجري بُحورِ رحمتِه الزاخرةِ على نوعَي الأخصّ والاعمّ، وجاعلُ الفصاحةِ عَلَماً على سَبقِ اللّاحقِ كالسّابقِ، وإنْ تقدَّم بها عصرُ السابقِ على اللّاحقِ، والبلاغةِ سلَّماً إلى الكشفِ عن وُجوه الحقائق، والإعرابِ عن غوامضِ الدّقائقِ، بأجلى تقريرٍ فائقٍ، وأحلى تحريرٍ سائقٍ، على نَجدٍ سويٍّ مَلحوب، ونهجٍ شهيٍّ مرغوب، وأسلوبٍ وسطٍ لا يبلغُ من الإيجاز محلُّه، ولا من الإطنابِ مملُّه، قدرٌ يفضي بك إلى المعاني الجمّةِ الجليلةِ، بألفاظٍ وجيزةٍ قليلةٍ، هي كالدواءِ الشافي بإذنِ الممرِّض المُعافي، أو جُمَلٍ متكاثرةٍ في إتمامِ المعاني، هي كالرَّضمةِ الصّالحةِ في يَدِ الباني».

آخرُ المَخطوطة

يا وَيحَ نَفسي كَفاني اللهُ صَوْلتَها
قد ضيَّقَتْ بي إلى إرشادِها سُبُلي
بَذَلْتُ نُصحي وما قَصْدي سوايَ به
والنفسُ أولى بلَوْمِ النَّفسِ والعَذلِ
وخُذْ إليكَ عروسَ الشّعرِ ما عَرَفَتْ
بحسنِها كيفَ تجلى خلَةَ العَطلِ
تميسُ والعالمُ النِّحريرُ مُلبسُها
قلائدَ الدرِّ لفظاً غيرَ مُبتذَلِ
وكلَّما أنشدَتْ للسّمعِ صَيَّرَها
للعينِ بثنة تحتَ الحلي والحُلَلِ
نظمتُ سبعَ قوافٍ وهيَ واحدةٌ
وَرُبَّ واحدةٍ عن سَبعِها الطولِ
كرّرْتُ فيها قوافيها لقلَّتِها
كالمِسْكِ لو كرَّرته ربّة الكلَلِ
سمَّيتها عندَ ما نظمتُها دُرراً
(قلائدُ الغيد) فأعرفْها ولا تَسَلِ

كأنّها الكوكبُ الدرّيُّ مُنقسِما
لسبعةٍ هزأت بالسّرج والشّعلِ
زانَ القريضَ بخود منه جاء بها
للمُجتَلينَ لها بالسّمعِ فكرُ (عليّ)
أنّى وأنّى (ابن باليل) برزت بها
كالرود لو أُبْرِزَت بالحجْلِ من حجْلِ
ولْيَغْلُوَنَّ بها غُرّاً مُحجَّلةً
ولْيَزْهَدَنَّ بذات الحجْل والحجْلِ
ولْيُقبلَنَّ إليها السمعُ مرتَشِفاً
وقبلَه القلبُ بعدَ الضمِّ بالقُبَلِ
ولمْ يُشِنْها بما عندي منظّمةً
في بعضِها جَعلُ ذي فعلٍ على فعلِ
خذها إليكَ يهزُّ التيهَ قامتُها
كالرّمح والغصنِ إن يُهزَز وإن يَمل
وليكفِ قائلَها فخراً ومنشدَها
من كلِّ مستمعٍ قولان (زِدْ) و (قُلِ)

تمّت القَصائدُ السَبْعُ بحمدِ اللهِ وحسنِ توفيقه، وعِدّةُ الجميع سَبعُ مائةٍ وثمانيةَ عَشرَ بيتاً.

ناسخُ المخطوطة ومكانُ تواجُدِها

لم يظهرْ من النسخةِ نفسِها اسمُ ناسخِها، إلّا أنّ مركزَ إحياءِ التراثِ الإسلاميّ (الذي هو مكانُ تواجدِها الفعليّ) فهرسَ المَخطوطَة، فذكرَ أنّ ناسخَها هو رضا بنُ صالح آل باليل، وعددَ صفحاتِها (٨٤) صفحةً.

هذا، وقد التزمَ الناسخُ في القصيدةِ الأولى والثانيةِ والثالثةِ والرابعةِ والخامسةِ والسادسةِ بتسعةِ أسطرٍ في كلِّ صفحةٍ، وفي القصيدةِ السابعةِ تَراوَحَ عددُ أسطُرِ الصفحةِ الواحدةِ بينَ (١٠-١٢) سطرا.

الهوامش

١- يُنظر: الذريعة: ١١/١٠، والتجلّي الأعظم،السيّد فاخر الموسوي:٥٤١.

٢- ديوان ابن مَعتوق:٤.

٣- مُستدركات أعيان الشيعة:١٨٣/٢.

٤- العَرْجة: هي أرضٌ واسعةٌ بين المُنْتَفِق والسّماوة، وتعدُّ من قضاء السماوة . مستدرك أعيان الشيعة:١٨٣/٢(الهامش).

٥- الجَوازِر: يُطلق على ما انحسَرَ عنه المدُّ والجزرُ، ومنها بُطَيْحَةُ الغرّاف، التي تسمى اليوم بلاد الجَوازِر .

٦- مُستدركات أعيان الشيعة:١٨٣/٢، نقلاً عن كتاب (الرحلة المكيّة)، للمولى علي خان بن عبد الله الحويزيّ، حاكم الحويزة ١١٢٥ - ١١٢٨ هـ).

٧- مستدركات أعيان الشيعة:١٨٣/٢.

٨- مستدركات أعيان الشيعة:١٨٣/٢.

٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة:٢١ /١٠ الرقم: ٣٦٩١ .

١٠- البَند : نوعٌ من الشّعر بين النّظم والنّثر، ونموذجٌ من الأدب العربيّ الشيعيّ. مجلة تراثنا:١٨٤/٢٦، مستدركات أعيان الشيعة:١٨٤/٢ هامش.

١١- الكشكول : ١٩١/٣-٢١٣.

١٢- الذريعة:١/ ١٢١، ١٧/ ١٦٠.

١٣- ينظر: موقع الأدب العربي الأهواز: قاسم المحمودي.

١٤- مستدركات أعيان الشيعة:١٨٣/٢.

١٥- مجلّة تراثنا:٤٤/ ٢٨٧.

١٦- ينظر: الذريعة :٤٤٢/٢.

١٧- أمل الآمل :ق١٩١/٢

١٨- حقائق الإيمان، الشهيد الثاني:٢٤٧.

١٩- تاج العروس:٣١٧/٦.

٢٠- ينظر: الذريعة :٤٤٢/٢.

٢١- حقائق الإيمان، الشهيد الثاني:٢٥٨.

٢٢- ينظر: الذريعة:٣٨٣/٢.

٢٣- أمل الآمل: ق٢ / ١٤٥.

٢٤- رياض العلماء: ٨٠/٣.

٢٥- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طرق الخاص والعام:١/٢.

٢٦- ينظر: مستدرك الوسائل:٣٩٣/٥٤١،٥/٢.

٢٧- التجلي الأعظم:٥٤٠.

٢٨- ينظر: الذريعة:٤٤٢/٢.

٢٩- موسوعة طبقات الفقهاء:١٩٣/٧.

٣٠- خاتمة المستدرك:٣٢/٣.

٣١- بحار الأنوار : ١٠٨/٣٥.

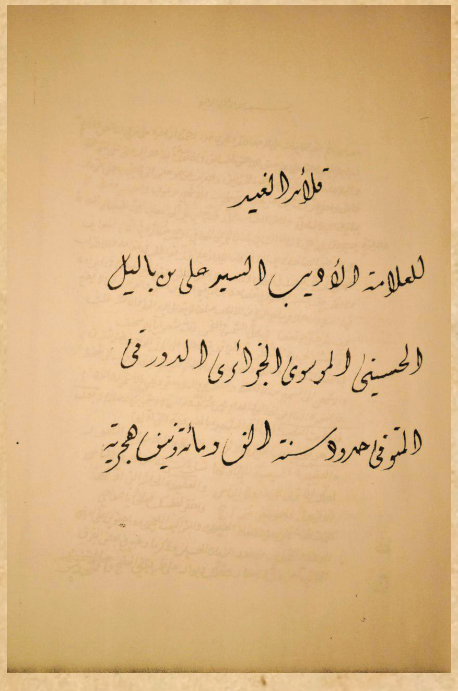
٣٢- نهج البلاغة: ١٤ / ٨١،الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب:٧،والاعلام : ١٣٧/٥ ، والتجلي الأعظم:٥٤١.

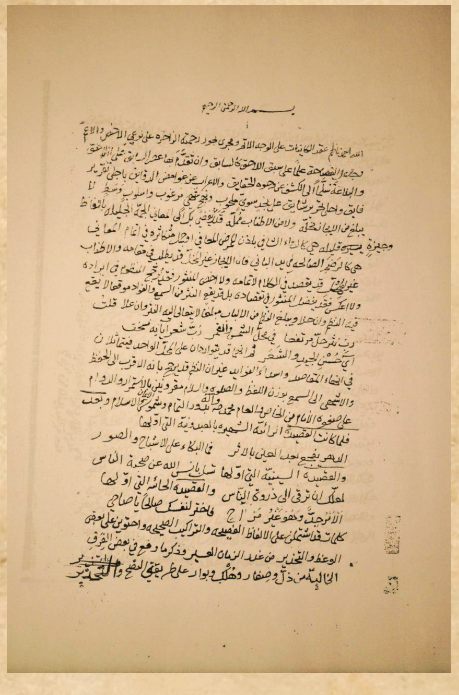
٣٣- الرعاية في علم الدراية، الشهيد الثاني٢٧٢.

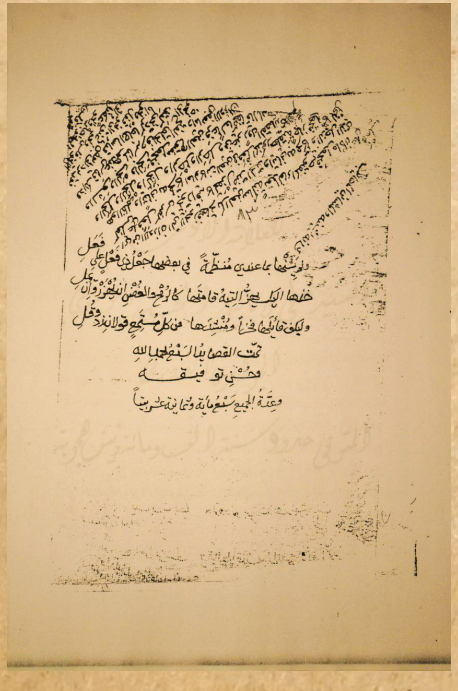
٣٤- تاج العروس:٣٤٢/٧.

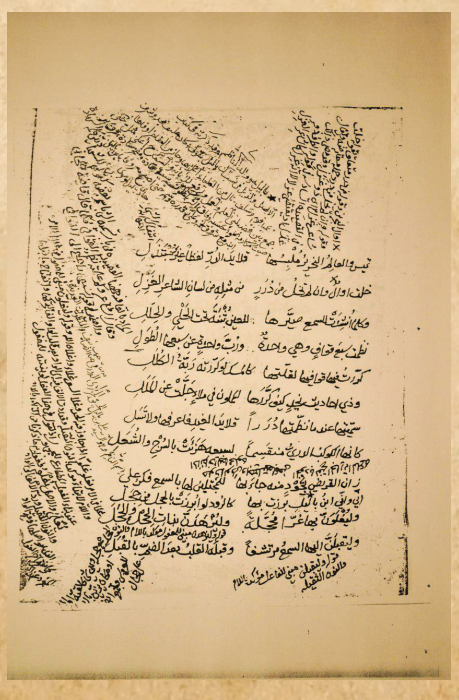
٣٥- مراقد المعارف :٢٤٣/١، مستدركات أعيان الشيعة: ٦٣/٣، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، صالح فضالة:٥٤٠.

٣٦- موقع (درر العراق).


تلامذة الشهيد
للعلامة الأديب السيد علي بن باسيل
الحسيني الموسوي الجزائري الدرة في
المتوفى حدود سنة ألف ومائة وتسع هجرية









بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك يا مرسل الأنبياء • وأصلي على من علمته حقايق الأشياء • وعلى آله خلفائه الأصفياء

وبعد فيقول أحمد بن الرضا البصري • الراجي عفو ربه اللطيف • هذه قطعة في الآداب • أوضحها

لبعض الأصحاب • فإذا تكلمت بكلام مفرداً كان ومركباً تاماً او غير تام خبراً ام انشاء ان كنت

ناقلاً بأي وجه كان فيطلب منك صحته ولا يعتمد على مجرد نقلك فعليك تصحيحه بأي طريق

يمكنك وان كنت مدعياً وهو من نصب نفسه لاثبات الحكم بدليل او بينة فيطلب منك

الدليل على دعواك وهو ما ركب من قضايا تادى الى مجهول كما بين في موضعه ولا يمنع النقل

ولا المدعى الا بجاز او ذلك لان المنع عندهم طلب الدليل على مقدمته فالنقل ان لم يذكر فيه

دليلاً فلا يتوجه عليه منع وان ذكر فيه فهو على سبيل الحكاية عن الغير فلا تتعلق به المواخذة

والمدعى اما قبل الدليل فلا يتوجه عليه منع ايضاً واما بعده فانما يتوجه الى المقدمتين

لا اليه فالمدعى من حيث مدعى لا يكون مقدمة الدليل اصلاً فاذا اتيت بالدليل الذي

يطلب منك منع اما منعاً مجرداً مثل ان يقال لا نسلم او ممنوع واما مع السند وهو ما يذكر لتاييد

المنع مثل ان يقال لا نسلم وانما يكون كذلك لو كان كذا او لم لا يجوز ان يكون كذلك او كيف

يكون كذلك وقد كان كذا فحينئذٍ لزمك اثبات المقدمة الممنوعة فعليك اثباتها ولا يدفع السند

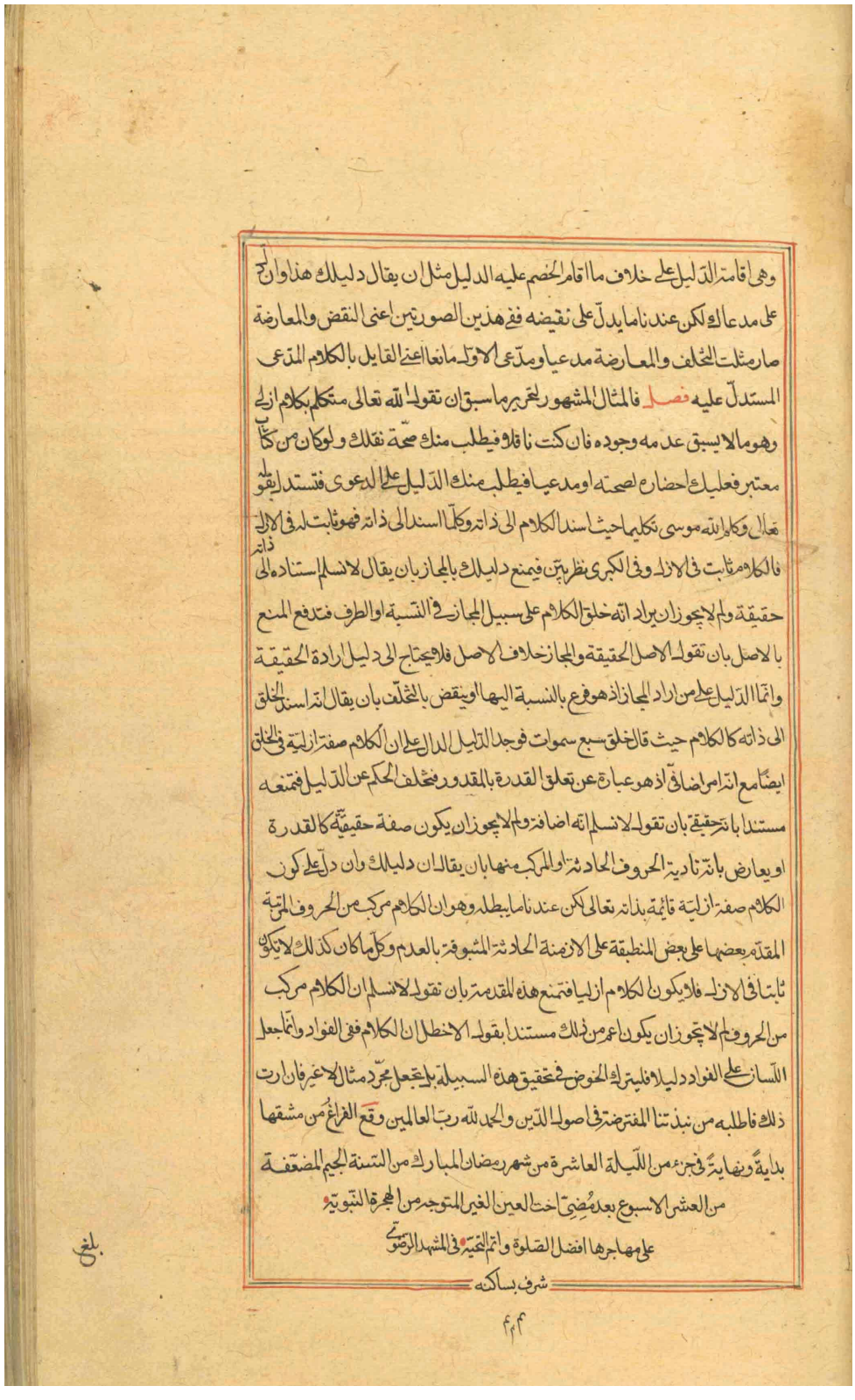
بالمنع اصلاً ولا بالابطال الا اذا كان مساوياً للمنع بحيث يلزم من دفعه دفعه مثل ان يقال

هذا زوج فقيل لا نسلم لم لا يجوز ان يكون فرداً فاذا ارفعت ذلك واثبت انه ليس بفرد ثبت انه زوج

اذ لا واسطة فثبتت المقدمة الممنوعة او نقض الدليل بالتخلف والنقض تخلف الحكم عن الدليل

مثل ان يقال وجد دليلك هذا بعينه في هذه الصورة ولم يوجد الحكم او عورض والمعارضة

قطعةٌ في الآداب، مهذّب الدّين، أحمد بن عبد الرّضا البصريّ، كان حيّاً سنة (١٠٩٨هـ).
الصفحة الأولى

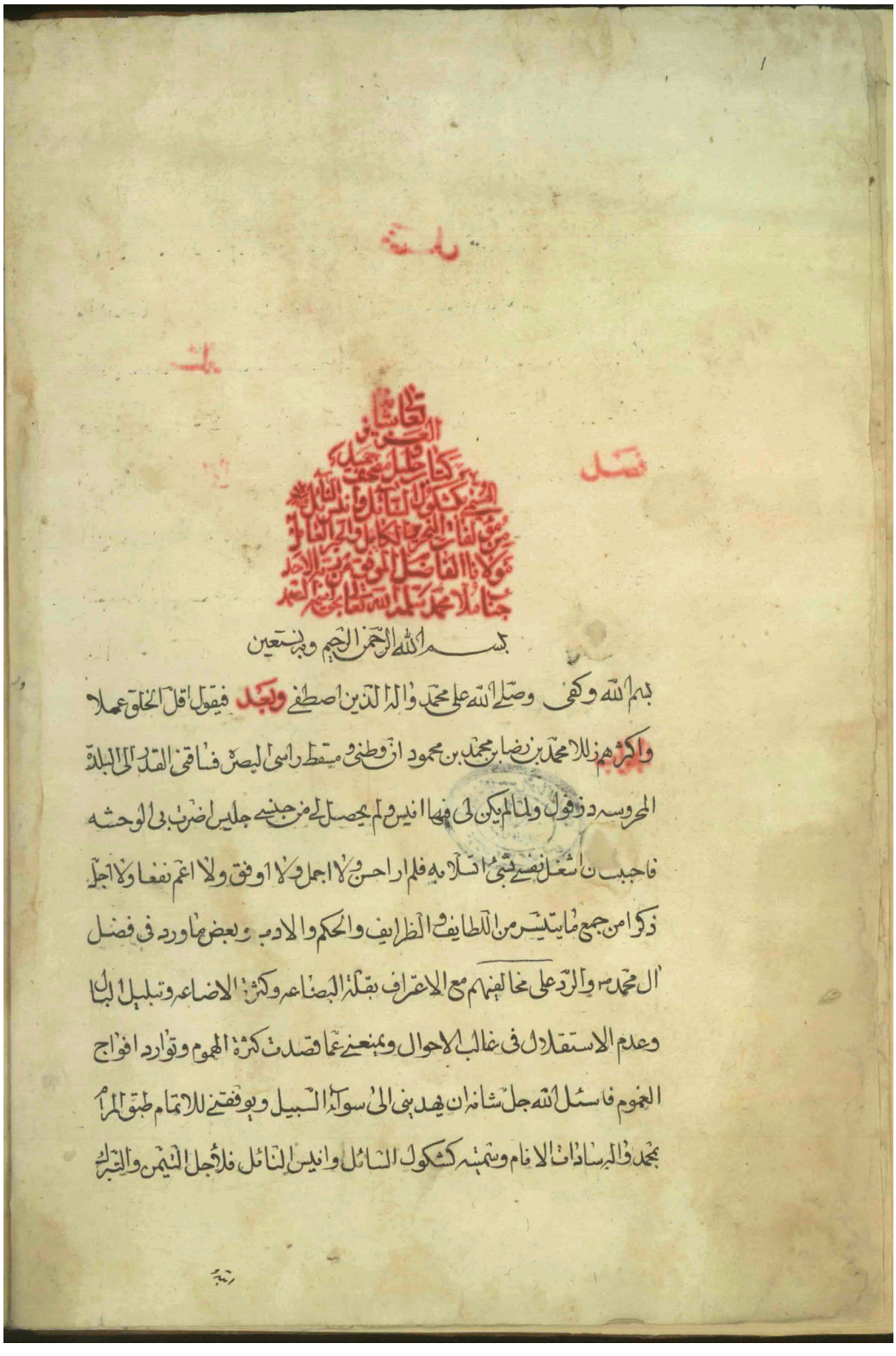


وهي اقامة الدليل على خلاف ما اقام الخصم عليه الدليل مثل ان يقال دليلك هذا وان لم
على مدعاك لكن عندنا ما يدل على نقيضه ففي هذين الصورتين اعني النقض والمعارضة
صار مثلث المخالف والمعارضة مدعيا ومدعى الاول مانعا اعني القايل بالكلام المدعى
المستدل عليه فصل فالمثال المشهور لتحرير ما سبق ان نقول الله تعالى متكلم بكلام ازلي
وهو ما لا يسبق عدمه وجوده فان كنت ناقلا فيطلب منك صحة نقلك ولو كان من كتاب
معتبر فعليك احضاره لصحته او مدعيا فيطلب منك الدليل على الدعوى فتستدل بقوله
تعالى وكلم الله موسى تكليما حيث اسند الكلام الى ذاته وكلما اسند الى ذاته فهو ثابت له في الازل
فالكلام ثابت في الازل وفي الكبرى نظر بيّن فيمنع دليلك بالمجاز بان يقال لا نسلم استناده الى ذاته
حقيقة ولم لا يجوز ان يراد انه خلق الكلام على سبيل المجاز في النسبة او الطرف فندفع المنع
بالاصل بان تقول الاصل الحقيقة والمجاز خلاف الاصل فلا يحتاج الى دليل ارادة الحقيقة
وانما الدليل على من اراد المجاز اذ هو فرع بالنسبة اليها او يقض بالتخلف بان يقال انه اسند الخلق
الى ذاته كالكلام حيث قال خلق سبع سموات فوجد الدليل الدال على ان الكلام صفة ازلية في الخالق
ايضا مع انه اسند اليه اذ هو عبارة عن تعلق القدرة بالمقدور فتخلف الحكم عن الدليل فتمنعه
مستندا بانه حقيقة بان تقول لا نسلم انه اضافة ولم لا يجوز ان يكون صفة حقيقية كالقدرة
او يعارض بانه تادية الحروف الحادثة او المركب منها بان يقال ان دليلك وان دل على كون
الكلام صفة ازلية قائمة بذاته تعالى لكن عندنا ما يبطله وهو ان الكلام مركب من الحروف المرتبة
المقدم بعضها على بعض المنطبقة على الازمنة الحادثة المشوفة بالعدم وكل ما كان كذلك لا يكون
ثابتا في الازل فلا يكون الكلام ازليا فتمنع هذه المقدمة بان تقول لا نسلم ان الكلام مركب
من الحروف ولم لا يجوز ان يكون اعم من ذلك مستندا بقوله الاخطل ان الكلام في الفواد وانما جعل
اللسان على الفواد دليلا فليترك الخوض في تحقيق هذه السبيلة بل نجعل مجرد مثال الاعتراض فان ارت
ذلك فاطلبه من نبذتنا المفترضة في اصول الدين والحمد لله رب العالمين وقع الفراغ من مشقها
بداية ونهاية في جزء من الليلة العاشرة من شهر رمضان المبارك من السنة الجيم المضعفة
من العشر الاسبوع بعد مضي اثنتي العين الغير المتوجه من الهجرة النبوية
على مهاجرها افضل الصلوة واتم التحية في المشهد الرضوي
شرف ساكنه

٤٤

بلغ

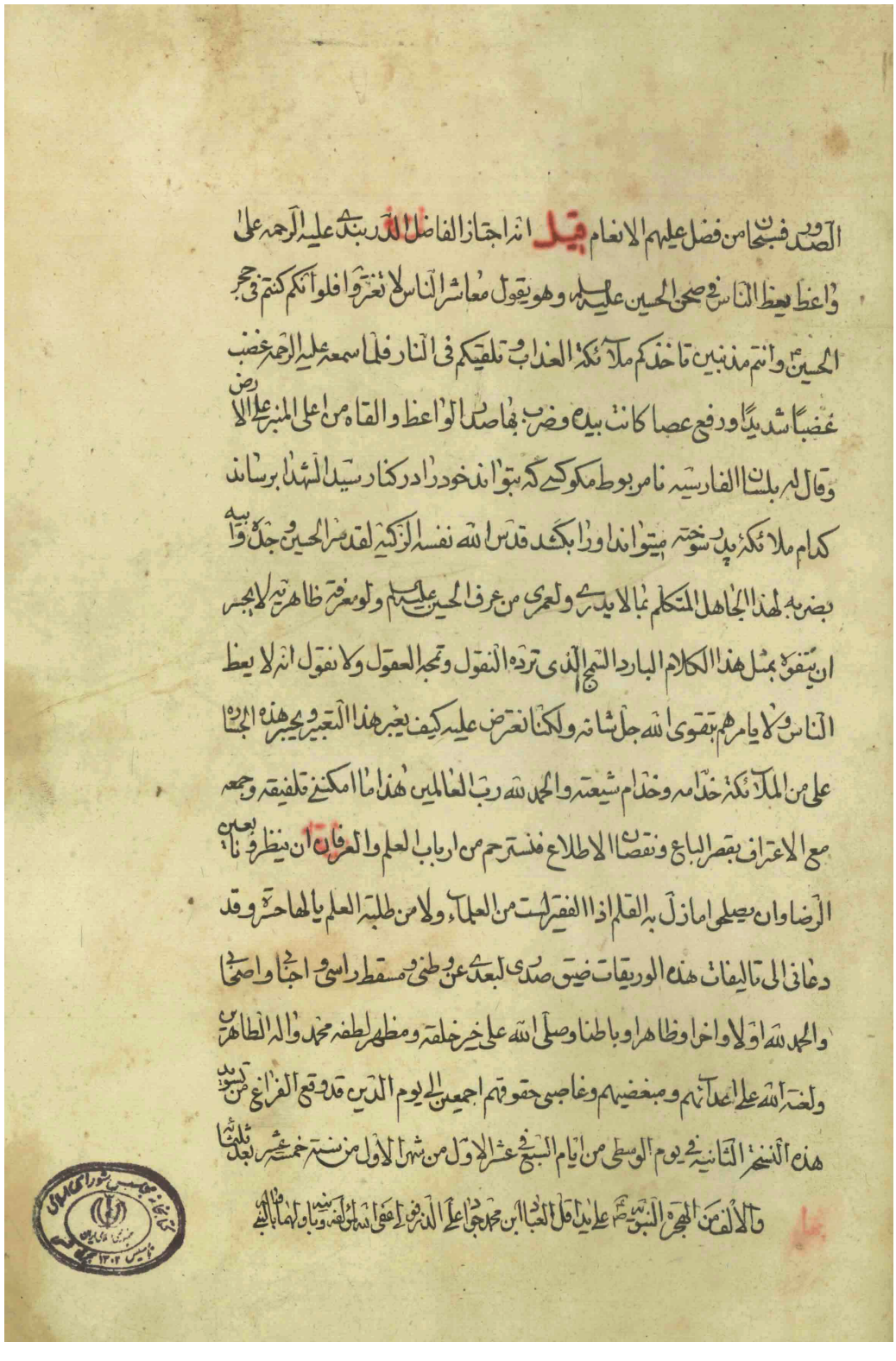
قطعةٌ في الآداب، مهذِّب الدِّين، أحمد بن عبد الرِّضا البصريّ، كان حيّاً سنة (١٠٩٨هـ).
الصفحة الأخيرة



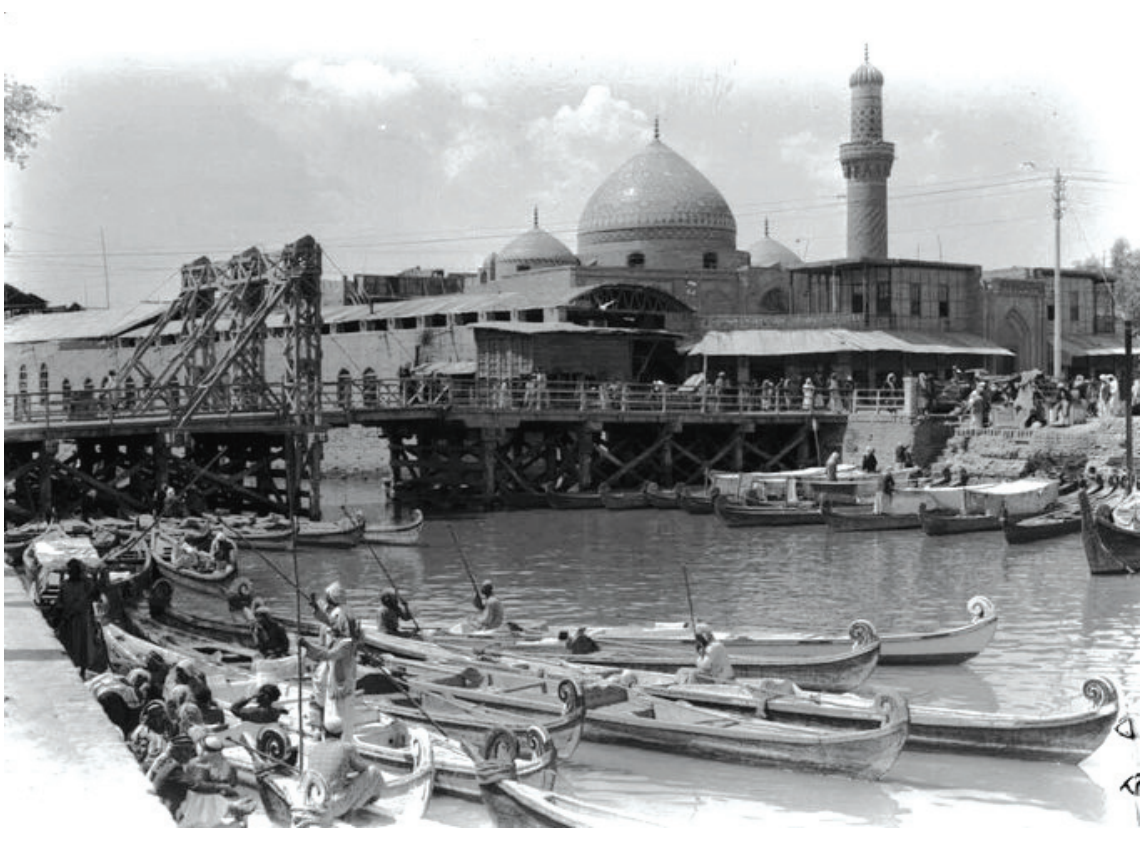
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

بسم الله وكفى وصلى الله على محمد وآله الذين اصطفى **وبعد** فيقول اقل الخلق عملا
واكثرهم زللا محمد بن رضا بن محمد بن محمود ان وطني ومسقط راسي البصرة فاتفق القدر الى البلدة
المحروسة دزفول ولما لم يكن لي فيها انيس ولم يحصل لي من جنسي جليس اضرب بي الوحشة
فاجببت ان اشغل نفسي فيما لا يعنيني فلم ار احسن ولا اجمل ولا اوفق ولا انعم نفعا ولا اجل
ذكرا من جمع ما تيسر من اللطايف الظرايف والحكم والادب وبعض ما ورد في فضل
ال محمد ص والرد على مخالفيهم مع الاعتراف بقلة البضاعة وكثرة الاضاعة وتبليل البال
وعدم الاستقلال في غالب الاحوال ومنعني عما قصدت كثرة الهموم وتوارد افواج
الغموم فاسئل الله جل شانه ان يهدني الى سواء السبيل ويوفقني للاتمام طوع امر
محمد والسادات الاعلام وسميته كشكول السائل وانيس النائل فلاجل التيمن والتبرك

كشكولُ السّائلِ وأنيسُ النائلِ، محمّد بن رضا بن محمّد بن محمود بصريّ دزفولي (ق١٣هـ).
الناسخ: علي بن محمّد جواد دزفولي. سنة النسخ: في (١٣١٥هـ).
الصفحة الأولى



كشكولُ السّائلِ وأنيسُ النائلِ، محمّد بن رضا بن محمّد بن محمود بصريّ دزفولي (ق ١٣هـ).
الناسخ: علي بن محمّد جواد دزفولي. سنة النسخ: في (١٣١٥هـ).
الصفحة الأولى



صورة من البصرة تبيّن نهر العشّار والبلم العشّاريّ تعود لعام ١٩٤٤م.



منظر جوّيٌّ لشط العرب ومدخل نهر العشّار بداية القرن الماضي، ويظهر في الصورة كثافةُ البساتين في ذلك الزمن



صورةٌ توثيقيَّةٌ نادرةٌ لأحد أنهار من إرشيفِ القنصلِ الإنكليزي Oscar Heizer بين عام ١٩١٧م و١٩١٩م



صورةٌ توثيقيَّةٌ نادرةٌ من إرشيفِ القنصلِ الإنكليزي Oscar Heizer بين عام ١٩١٧م و١٩١٩م، يظهر فيها كثافة النخيل في البصرة



صورةٌ توثيقيَّةٌ نادرةٌ لأحد أنهار من إرشيفِ القنصلِ الإنكليزي Oscar Heizer بين عام ١٩١٧م و١٩١٩م

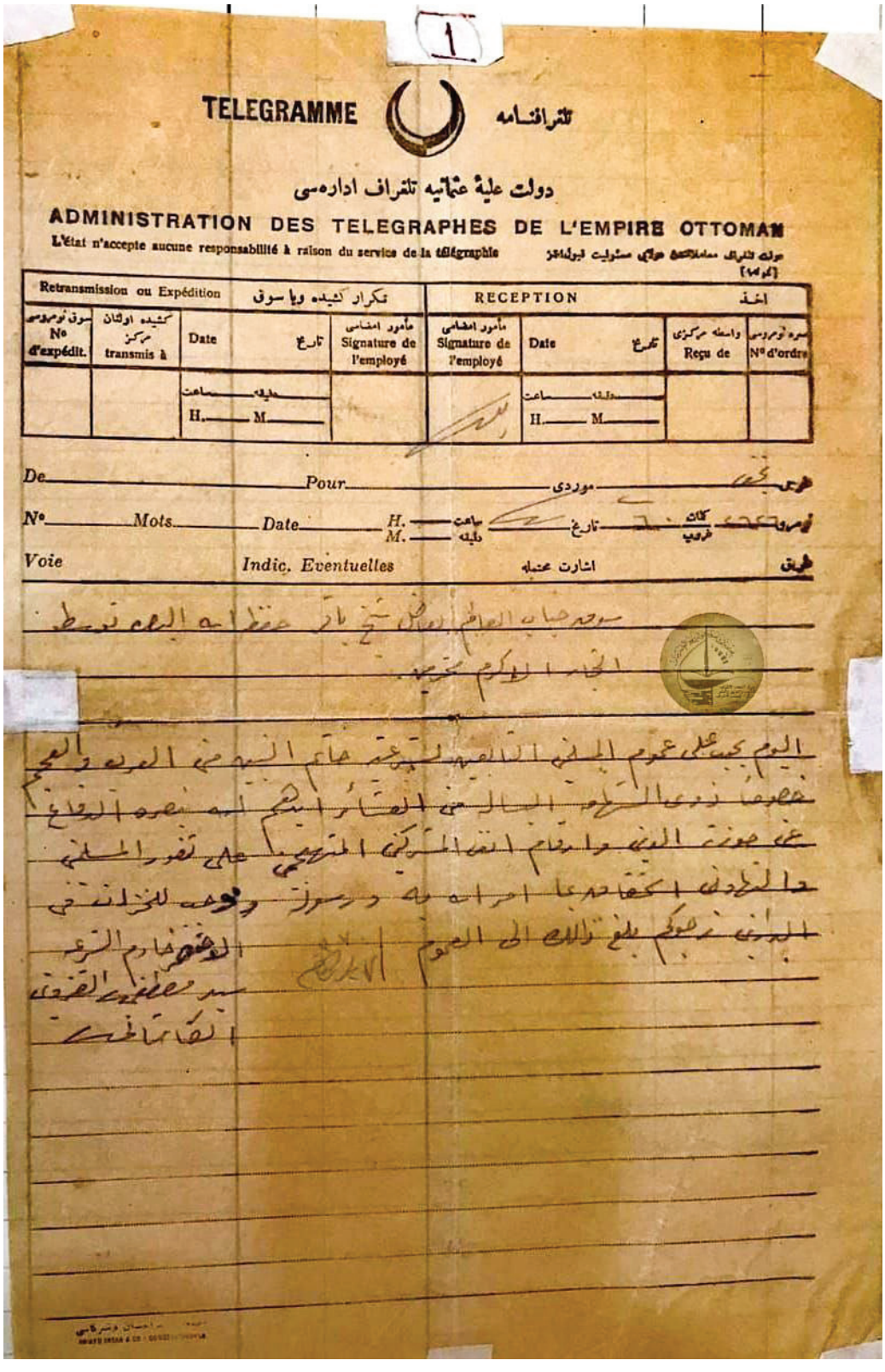


Photograph by John Clark Archer

ARABS OF ZUBEIR, A TOWN TEN MILES WEST OF BASRA

Since the World War a huge embankment 20 miles long has been constructed not far from Basra to protect an area which formerly was a malodorous swamp, but is now a verdant garden. This embankment safeguards the date gardens and benefits landowners whose farms were often inundated by floods.

مشهدٌ لطلّابِ مدرسةٍ إبتدائيةٍ في الزبيرِ لواءُ البصرة، الصورة تعود لعام ١٩٢٦م



TELEGRAMME تلغرافنامه

دولت علیهٔ عثمانیه تلغراف اداره‌سی

ADMINISTRATION DES TELEGRAPHES DE L'EMPIRE OTTOMAN

L'état n'accepte aucune responsabilité à raison du service de la télégraphie

Retransmission ou Expédition تکرار کشیده ویا سوق | RECEPTION اخذ

سوق نومروسی N° d'expédit.	کشیده اولنان مرکز transmis à	Date تاریخ	مأمور امضاسی Signature de l'employé	مأمور امضاسی Signature de l'employé	Date تاریخ	واصله مرکزی Reçu de	سره نومروسی N° d'ordre
		ساعت دقیقه H. M.			ساعت دقیقه H. M.		

De Pour موردی

N° Mots Date H. M. ساعت دقیقه تاریخ کلمات نومروسی

Voie Indic. Eventuelles اشارت محتمله طریق

وثيقةٌ تبيّن رسالة نصيّة الى الشيخ باقر آل حيدر من البصرة، تتضمّن استنهاض أهالي البصرة للدفاع عن الدين ونصرته - من إرشيف مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق



إبراهيم الوائليّ البصريّ
أديباً وناقِداً

د. أشرف عبد الحسن

عندما نتحدّث عن البَصرة، لابدَّ أن يجرَّنا إلى الكلامِ عن جمالها ونخيلِها وكثرةِ أنهارِها، ممّا جعلَها عبارةً عن واحةٍ واسعةٍ يتسامرُ على جمالها الأُدباءُ والشعراءُ والكتّابُ قَديماً وحديثاً، على الرُّغم ممّا حدثَ عليها من عادِيات الزمانِ، وجعلَها تفقدُ الكثيرَ من ملامحها السابقةِ؛ بكثرة نخيلِها واشجارِها وبساتينِها العامِرة .

وإذا أردنا الحديثَ عن أدباءِ البصرةِ، فسنبدأ ولا ننتهي؛ لكثرةِ عددِهم، ولكنْ، نسعى جاهدينَ الى تسليطِ الضوءِ على أبرزِهم، ممّن كان لهم إسهامٌ واضحٌ في الأدبِ البصريِّ والعراقيِّ بشكلٍ عامٍّ، لعلَّنا نستطيعُ أن نفيَ بعضَ حقوقِهم، وإحياء تراثِهم الزاخرِ بالعطاءِ، والثريِّ بالموادِّ العلميّةِ والفكريَّةِ والأدبيَّة.

ويُعدُّ إبراهيم محمّد الوائليُّ أحدَ أولئكَ الأُدباءِ والنقّادِ، الذين تركوا بَصَماتٍ واضحةً في ميدان الشّعر والنّقد. وهو أديبٌ فاضلٌ، وكاتبٌ مُبدعٌ، وشاعرٌ حرٌّ .

وُلِد إبراهيم الوائليُّ في قَريةٍ من قُرى شَطِّ العَرَبِ بالبَصرة عام ١٩١٤م، وهو ابنُ الشيخ محمّد، الشهيرُ بحَرج الوائليّ. وبعد أن تعلَّمَ قراءةَ القرآنِ الكريمِ في كُتّاب القَريةِ على السيِّدِ عُمرانِ الحلوِ، إنتقلَ إلى النّجف، وتتلمَذَ على عُلمائها، وقد كانَ رفيقَ والدِه في السّفرِ والحَضَر، ووالدُهُ من الأعلام الذينَ بَرزوا في وَسَطهم، ونالوا مكانةً في العلمِ والفقه.

وقد شاركَ الأديبُ إبراهيمُ الوائليُّ في مجالسِ النّجف ونواديها ـ كالرابطةِ الأدبيّةِ، ومنتدى النَّشرِ بقصائدِه الشعريَّةِ، ومُطارحاته الأدبيَّةِ، وفي بغدادَ، تخرَّجَ من مدارسها[١]، وسافرَ إلى القاهرةِ؛ ليحصلَ على شهادةِ الليسانسِ من كليّة دار العلوم عام ١٩٤٩، ثمَّ شهادةِ الماجستير عام ١٩٥٦، عن دراسته: (الشعرُ العباسيُّ العراقيُّ في القرن التاسعَ عَشَر)، ثم الدكتوراه.

وقد عَرَفَته معظمُ الصحفُ العربيّةُ بما نَشَرَ فيها من شعرٍ ونثرٍ، ولم ينقطع عن نَظمِ الشّعرِ خلالَ إقامته بمصرَ، بل نَظَمَ هناكَ ما يزيدُ على الألفِ بَيت. وقد درّس في جامعاتِ بغدادَ ربعَ قَرْن ، كان فيها أستاذاً رائداً ، قبلَ أنْ يتقاعَدَ عام ١٩٨٣، بعد أن أثقلَ عليه المرضُ ، ولكنّه ظلَّ يوافي الصَّحافةَ المحليّةَ بتصويباتِه اللغويّةِ لكتابات المثقَّفين.

من كتبه :

- ثورةُ العشرين في الشّعر العراقيّ.
- إضطرابُ الكَلِم عند الزَّهاويّ.
- ديوانُ الشّريفّ.
- من لَقيطٍ إلى اليازجيّ.
- الشعرُ العراقيُّ وحربُ طَرابلس.
- الزَّهاويُّ وعَصرُ السُّلطان عَبد الحَميد.
- الثّورةُ العراقيّة.
- الشعرُ السياسيُّ العراقيُّ في القرن التاسعَ عَشَر.

ومن كتبه المخطُوطة:

- الرّاحلون.
- الزَّهاويُّ في شعرِه السّياسيّ.
- لَهْجَةُ الريف في البَصرَة وعَلاقتُها باللغةِ الفَّصيحَة[٢].

نَموذَجٌ من شعره:

إنمازَ الوائليُّ في شعرِه بظَواهرَ كانت تبدو عليه في الصِّغرِ، منها: رصانةُ التّعبيرِ، وقوَّةُ الدّيباجةِ، وَضَخامَةُ اللفظِ، وتصويرُ الفكرة الجَديدَة، وإليكَ نماذجُ من شعرِه تُعربُ عن ذلك بوضوحِ قولِه، وعنوانها (من وحي الامام)، نَظمَها عام ١٩٤٥م، بمناسبة ذكرى ولادة الإمام عليٍّ عليه السلام:

صِهرَ النُّبوَّةِ حَسبي مِنكَ إيحاءُ
دنياكَ صَوتٌ ودُنيا الناسِ أصداءُ

آمَنتَ بالحقِّ لم تَعصِف بموكبِه
هوجُ الخُطوبِ ولمْ تفللْهُ أرزاءُ

الى آخرِ القصيدة.

وقالَ في واقعَةِ كَربَلاء [٣]:

يا يومَ وَقْعةِ كَربلاءَ كفى أسىً
الاّ يطـاقُ تصبّرٌ وتجـلُّدُ
ودمُ الحُسينِ الطُّهرِ كلَّ عشيَّةٍ
شَفَق بآفاقِ السَّمـاءِ مجسَّدُ

وصوَّرَ في أبياتٍ أخرى وقعةَ المأساةِ التي حلَّت بأهل البيت عليهم السلام في كَربلاءَ، فقال:

رَنَّةُ الدَّهرِ وصوتُ الحِقَبِ
هذه الذّكرى التي لمْ تَغِبِ
كمْ طَوَت جيلاً ولفَّت زَمَناً
واعْتَلَت فَوقَ مُتونِ الكُتُبِ

وله من قَصيدةٍ يرثي الإمامَ الحسينَ بعنوان (اليوم الاحمر)، قالَ في أَحَد أبياتها:

دَعـاكَ فلبَّيتَـه مُسرِعاً
جِهـاد أرادَك لمّا دَعـا
ومثلُك مَنْ جَلَّ أنْ يَستكينَ
لحُكمِ الطُّغـاةِ وأنْ يَضرَعا
فـثِرْتَ وَكَـم ثـائرٍ حَـظُّه
من النّاسِ قولهم: لا لَعا [٤]
ولـكنَّكَ البَطَلَ المُستَثـار
أبـى أن يُذلَّ وأنْ يُخدعـا
رأيتَ الضَّلالاتِ تَغشى النُّفوسَ
وتنسِجُ مِـنْ دَنَـسٍ بُرقُعـا
وأبصرتَ دُنياكَ عِبْئاً عَليكَ
وَعَيشُك بالهَونِ قد لفّعا
فآثرتَ أنْ يَستحرّ الكفاحُ
وأن تَشجبَ الظُّلمَ أو تُصرَعا

الى أنْ يقول:

حسين وحسبيَ منكَ النّضالُ
يُمجِّد تأريخَك الأرفَعا
أرادوا لمثلكَ أن يَستنيمَ
وحاشا لمثلكَ أنْ يَخضَعا
فكُنتَ المشرَّعَ للثائرينَ
على الظُّلمِ أن يَردُوا المَشرَعا

تُوفّي سنة ١٩٨٨ م وقد خلَّفَ تُراثاً زاخراً من الشّعرِ والأدبِ، وقد جارى كبارَ الشُّعراءِ في عَصرِه، أمثالَ الجواهريِّ، وكذا كَتَبَ في القَضايا التي تهمُّ الأمَّةَ، مثل: فلسطين، وَكَتَبَ في استنهاضِ الشّبابِ وحثِّهم على العَمَل وَطَلبِ العلمِ والابتعادِ عن الجَهلِ، وكتب في الحَنينِ الى بلادِه عندما كان في الغُربةِ؛ فهو شاعرٌ مجدِّدٌ يملأ شعرَهُ الأملُ وعدمُ اليأسِ مهما حلَّت الخطوبُ والانحطاطُ في الواقعِ، وكان يمزجُ بينَ المُناسباتِ الدينيَّةِ، ويستعرضُ فيها المشاكلَ السياسيَّةَ والاجتماعيَّةَ، مثل قصيدته التي بعنوان (في رمال التّيه)، التي نظمَها عام ١٩٤٩م بمناسبةِ المولد النبويِّ، ومن قصيدة له مجيباً على قصيدة الجواهريّ (أجب أيُّها القلب):

زَهَت بالقَوافي الغُرِّ منكَ المجامِعُ
فرتِّلْ ضروبَ الشّعرِ فالدهرُ سامعُ



شَـدَوتَ فحرَّكتَ القُـلوبَ بنَغـمَةٍ
مَلأْتَ بهـا الآفـاقَ وهيَ شواسِعُ
فللّهِ قـلبٌ بالأنـاشيـدِ طـافـحٌ
ومنبـع وَحْيٍ قـدَّسَتْـه المنـابـعُ
يفيـضُ على الدنـيـا حَناناً ونقمَة
ويطفـحُ مـهـمـا حرّكَتْهُ الزَّعـازِعُ

الى أن يقول:

أعيذُ لأربـابِ القَـوافي بأنْ تُـرى
جَزوعا وهل يحظى بمـا رامَ جازِعُ
فدَعْ مُثقلاتِ الهمِّ عنكَ ولا تَكُنْ
على القلبِ عَوْناً أن دَهَتهُ الفَواجِعُ
وأشـفقْ عـلى بقيا حَشـاك فربمَّا
تُغيّر مجرى الحـادثـاتِ الطبايعُ
ستـقـرؤك الأجيـالُ مَهما تعـاقَبَت
ويعرِفُك التأريخُ والدهرُ يـافِعُ

الهوامش

١- ينظر: أعلام العراق الحديث: ١ / ٥١، وموسوعة أعلام العراق في القَرن العشرين: ١/ ١٠، ومعجم شعراء الحسين: ٢ / ٢٣٠، وشعراء الغريّ: ١ / ١٤٨، ومعجم رجال الفكر والأدب في النّجف خلال ألف عام: ٤٥٧، ومعجم الشعراء العراقيّين: ٢٦.

٢- النجف الأشرف قديمًا وحديثاً ٢/ ١١٧، عالَم الكُتب مج ٩ ع ٤ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ (رسالة العراق الثقافيّة). وفي المصدر الأول أثبتت ولادته سنة ١٣٣٢ هـ.

٣- المصدر: ديوان الوائلي: ١/ ١٥٤ .

٤- لعا : يُقال للعاثر: (لَعاً لك)، وهو دعاءٌ له بأن ينتعِش ، المعجم: مختار الصّحاح .

أحمدُ بنُ محمّد، الصّوليُّ، البصريُّ

الشيخ علي الغزّي

أحمدُ بنُ محمّد بن جَعفَر، أبو عليّ، الصُّوليُّ (وهي نسبة إلى بعض أجداد المنتَسب إليه)، بصريٌّ، صَحب الجَلوديَّ[1] عُمرَه، وكان شيخَ المفيد رحمه الله، ثقةٌ في حديثه، مَسكونٌ إلى روايته، غيرَ أنّه قيل: إنّه يروي عن الضّعفاء. من الطّبقة العاشرة[2]، قيل: إنّه قدم بغدادَ سنةَ ثلاث وخمسين وثلاث مائة. له كتبٌ ذُكر منها: كتابُ أخبار فاطمة عليها السلام، وهو كتابٌ كبير[3].

من رواياته

١- ما رُوي في البِحار، عن كتاب «(أخبار فاطمة)، عن أبي عليّ الصّولي، قال عبدُ الله بن الحسن: دَخلَ رسولُ اللهﷺ على فاطمة، فقدَّمتْ إليه كِسرةً يابسةً من خُبز شَعير، فأفطرَ عَليها، ثمّ قال: يا بُنيّة، هذا أوّل خبزٍ أكلَ أبوكِ منذُ ثلاثةِ أيّام، فجَعلتْ فاطمةُ تبكي، ورسولُ الله يمسحُ وجهَها بيدِه»[٤].

٢- ما رُوي في البحار، عن «أبي عليّ الصّوليّ في أخبار فاطمة، وأبي السّعادات في فضائل العشرة، بالإسناد عن أبي ذرٍّ الغفاريّ، قال: بعثني النّبيّﷺ أدعو عليّاً، فأتيتُ بيتَه، وناديتُه، فلم يجبْني، فأخبرتُ النّبيّﷺ، فقال: عُد إليه، فإنّه في البيت، ودخلتُ عليه، فرأيتُ الرّحى تطحنُ، ولا أحدَ عندها، فقلتُ لعليٍّ: إنّ النّبيَّﷺ يدعوك، فخرجَ متوحِّشاً، حتّى أتى النّبيّﷺ، فأخبرتُ النّبيّﷺ بما رأيتُ، فقال: يا أبا ذر، لا تَعجَب، فإنّ للّهِ ملائكةً سيَّاحون في الأرض، موكَّلون بمعونة آلِ محمَّد»[٥].

٣- ما رُوي في البحار، عن ابنِ عيّاش في المقتَضَب، عن الصّوليّ، قائلاً: «روى الشّيخُ حسنُ بن سليمان في كتاب المختَصَر، ممّا رواه من كتاب السّيّد الجليل حسن بن كَبْش، ممّا أخذَه من كتاب المقتضَب بإسناده عن سلمان الفارسيّ، قال: دخلتُ على رسول اللهﷺ يوماً، فلمّا نظرَ إليّ، قال: يا سلمان، إنّ الله~ لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عَشَر نقيباً، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، لقدْ عرفتُ هذا من أهل الكتابَين، قال: يا سلمان، فهل علمتَ مَن نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟ فقلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: يا سلمان، خلقَني اللهُ من صفوة نوره، ودعاني، فأطعته، وخلقَ من نوري عليّاً، فدعاه، فأطاعه، وخلقَ من نوري ونور عليّ فاطمةَ، فدعاها، فأطاعتْه، وخلق منّي ومن عليّ وفاطمة الحَسَنَ والحُسينَ، فدعاهما، فأطاعا، فسمّانا الله~ بخمسة أسماء في أسمائه، فالله المحمودُ، وأنا محمَّد، والله العليُّ، وهذا عليٌّ، والله فاطرٌ وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان، وهذا الحَسَن، واللهُ المحسنُ، وهذا الحُسين.

ثمّ خلق منّا ومن نورِ الحُسين تسعةَ أئمّة، فدعاهم، فأطاعوا قبل أنْ يخلق الله~ سماءً مبنيّةً، و أرضاً مدحيّةً، أو هواءً أو ماءً، أو مَلَكاً أو بَشَراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبِّحُه، ونسمعُ له ونطيع، فقالَ سلمانُ، قلتُ: يا رسولَ الله، بأبي أنت وأمي، ما لِمَنْ عَرَفَ هؤلاء؟ فقال: يا سلمان، مَن عَرَفهم حقَّ معرفتهم، واقتدى بهم، فوالى وَليَّهم، وتبرَّأ من عدوِّهم، فهو ـ والله ـ منّا، يردُ حيثُ نرِد، ويسكنُ حيث نسكن.

قلتُ: يا رسولَ الله، فهل يكون إيمانٌ بهم بغير معرفةٍ بأسمائهم وأنسابهم، فقال: لا يا سلمان، قلتُ: يا رسول الله، فأنّى لي بهم، قال: قدْ عرفتَ إلى الحسينَ، قال: ثمّ سيّدُ العابدين، عليُّ بن الحسين، ثمّ ابنُه محمّدُ بن عليّ، باقرُ علم الأوّلينَ والآخرينَ من النّبيّينَ والمرسلينَ، ثمّ جعفرُ بنُ محمّد، لسانُ الله الصّادق، ثمّ موسى بنُ جعفر، الكاظمُ غيظه صبراً في الله، ثمّ عليّ بن موسى، الرِّضا لأمر الله، ثمّ محمّد بن عليّ، المختارُ من خَلْق الله، ثمّ عليُّ بنُ محمّد، الهادي إلى الله، ثمّ الحسنُ بنُ عليّ، الصّامتُ، الأمينُ على دين الله، ثمّ (م ح م د)، سمّاه باسمه بن الحسن المهديّ، النّاطقُ، القائم بحقّ الله.

قال سلمان: فبكيتُ، ثمّ قلتُ: يا رسول الله، فأنّى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان، إنّك مدركُهم، وأمثالُك، ومَن تولّاهم حقيقةَ المعرفة.

قال سلمان: فشكرتُ اللهَ كثيراً، ثمّ قلتُ: يا رسولَ الله، إنّي مؤجَّلٌ إلى عهدِهم؟ قال: يا سلمان، إقرأ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾[٦].

قال سلمان: فاشتدَّ بُكائي وشَوقي، قلتُ: يا رسولَ الله، بعَهدٍ منك؟ فقال: إي ـ والذي أرسلَ محمَّداً ـ إنّه لبعَهدٍ منّي، ولعليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ، وتسعةِ أئمّة، وكلِّ مَن هو منّا، ومظلوم فينا، إي ـ والله ـ يا سلمان، ثمّ ليُحضرَنّ إبليسُ وجنودُه، وكلُّ مَن محَضَ الإيمانَ مَحضاً، ومحضَ الكفرَ مَحضاً، حتّى يُؤخذَ بالقِصاصِ والأوتارِ والثّارات، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾، ونحن تأويل هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[٧].

قال سلمان: فقمتُ من بين يَدَي رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وما يبالي سلمان متى لقيَ الموتَ، أولقيَه.

أقول: رواه ابنُ عيّاش في المقتَضَب، عن أحمد بن محمّد بن جعفر الصّوليّ، عن عبد الرَّحمن بن صالح، عن الحسين بن حميد بن الرّبيع، عن الأعمش، عن محمّد بن خلف الطّاطريّ، عن شاذان، عن سلمان، وذكر مثله»[٨].

٤- ما رُوي في أمالي الشّيخ، عن «محمّد بن محمد، قال: حدَّثنا أبو عليّ، أحمدُ بنُ محمّد بن جعفر الصّوليُّ، قال: حدَّثنا زكريّا بن يحيى السّاجيُّ، قال: حدَّثنا إسماعيلُ بن موسى السّدّيُّ، قال: حدَّثنا محمّدُ بن سعيد، عن فضيل بن مرزوق، عن أبي سُخَيْلة، عن أبي ذرٍّ وسلمان٥، قالا: أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيد عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: هذا أوّلُ مَن آمَن بي، وهو أوّلُ مَن يُصافحُني يومَ القيامة، وهوالصِّدِّيقُ الأكبرُ، وفاروقُ هذه الأمّة، ويعسوبُ المؤمنين»[٩].

٥- ما رُوي في مائة منقبة، عن «أحمد بن محمّد

بن الحسن بن أيّوب الحافظW، قال: حدَّثني أبو عليّ، أحمدُ بنُ محمّد بن جعفر الصّوليُّ، قال: حدَّثني محمّدُ بنُ الحسين، قال: حدَّثني حفصُ بن عمر، قال: حدَّثني أبو معاوية، قال: قال لي الأعمشُ: يا أبا معاويةَ، ألا أُحدِّثك حديثاً لا تختار عليه، قلت: بلى، فديتُك، قال: حدَّثني أبو وائل ـ ولم يسمعه أحدٌ غيري ـ عن عبد الله، قال: حدَّثني رسول اللهﷺ، قال: قالَ لي جبرائيلعليه السلام: يا محمّدُ، عليٌّ خيرُ البشر، مَن أبى، فقدْ كَفَر»[10].

٦- ما رُوي في أمالي المفيد، عن «أحمد بن محمّد الصّوليّ بمسجد براثا سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة، قال، حدَّثنا عبدُ العزيز بن يحيى الجلوديُّ، قال: حدَّثني محمّد بن زكريّا الغلابيُّ، قال: حدَّثنا قيسُ بنُ حفصٍ الدّارميُّ، قال: حدَّثنا الحسينُ الأشقرُ، عن عمرو بن عبد الغفّار، عن إسحاق بن الفضل الهاشميّ: كان من دعاء أميرِ المؤمنينَ عليِّ بن أبي طالبعليه السلام: اللَّهمَّ، إنّي أعوذُ بك أنْ أعاديَ لكَ وليّاً، أو أواليَ لكَ عَدوّاً، أو أرضى لكَ سَخَطاً أبداً، اللَّهمَّ، مَن صلَّيتَ عليه، فصلواتُنا عليه، ومَن لعنتَه، فلعنتُنا عليه، اللَّهمَّ مَنْ كان في مَوته فَرَحٌ لنا ولجميع المسلمين، فأرِحْنا منه، وأبْدِل لنا به مَن هوخيرٌ لنا منه، حتّى تُرِيَنا مِنْ علمِ الإجابة ما نتعرّفُه في أديانِنا ومعايِشنا، يا أرحمَ الرَّاحمين»[11].

الهوامش

١- وهو عبد العزيز بن يحيى الجَلوديّ، شيخُ البصرة وأخباريُّها، إماميّ المذهب، ثقةٌ، صنّف كتباً عديدة، يُنظر: رجال النّجاشيّ: ٦٤٠/٢٤٠، والفهرست: ٥٣٦/٦٤٠.

٢- ترتيب طبقات الفهرست: ١٩٢/٦ (مخطوط).

٣- رجال النّجاشيّ: ٨٤٠ /٢٠٢، والفهرست: ٩٥/٧٥، ورجال الشّيخ: ٦٠٢/٤٢٧.

٤- البحار: ٤٠/٤٣.

٥- بحار الأنوار: ٤٥/٤٣، ورواها قبله ابن شهرآشوب في المناقب: ٣٣١/٣ و٣٣٧.

٦- سورة الاسراء، الآية : ٥و٦.

٧- سورة القصص، الآية: ٥و٦.

٨- البحار: ٥٣/ ١٤٢-١٤٤.

٩- أمالي الطوسيّ: ٢١٠ /ح ١١.

١٠- مائة منقبة: ١٢٨/ منقبة ٦٨.

١١- أمالي المفيد: ١٦٥/ح٦.



السيِّدُ نعمةُ الله الجزائريّ
والاستشفاءُ بتُربة المعصومين عليهم السلام

الشيخ الدكتور محمود العيداني

من الثابتِ في الفقه حرمةُ أكل الطين والتُّراب؛ فعن مرجع الطائفة السيد السيستانيّ (مُدّ ظله الوارف) أنَّه يحرم أكلُ الطين، ويلحقُ به الترابُ والرملُ على الأحوط وجوباً.

إلّا أنَّ هناك استثناءً واحدا فقط من هذه الحرمة عنده دام ظله وعند الفقهاء، وهو أكل طين قبر الإمام الحسين عليه السلام في حالة طلب الاستشفاء بهذا الطين المبارَك، فلا يجوزُ أكلُه لغير الاستشفاء، وكذا هناك شروطٌ خاصّة لهذا الأكل الجائز؛ فلا يجوزُ أكلُ ما زاد عن قَدَر الحمُّصةِ المتوسّطةِ الحَجم.

وهذا الحكمُ قد خُصَّ به الحُسين عليه السلام، ولهذا، لا يلحقُ بطين قبره طينُ غيره من المعصومين، حتّى قبر النبي صلى الله عليه وآله.

وكذا يُذكر في الاستفتاءات كيفيةُ تناول تربةِ قبرِ الامام الحسين عليه السلام للاستشفاء؛ فقد ورد أنَّ تناولَ التربةِ المقدَّسة للاستشفاء يكون إمّا بازدرادها وابتلاعها، وإمّا بحلّها في الماء ونحوه وشربِه بقصد التبرُّك والشّفاء[1].

وقد وردت أحاديث كثيرة في التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام، منها ما يأتي:

١- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إِنَّ عِنْدَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام لَتُرْبَةً حَمْرَاءَ، فِيهَا شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»[٢].

٢- وعن ابن أبي يعفور، قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: يأخذُ الإنسانُ من طين قبرِ الحسين عليه السلام فينتفعُ به، ويأخذُ غيرُه فلا ينتفعُ؟ فقال: لا وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، مَا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ وَهُوَ يَرَى أَنَّ اللهَ يَنْفَعُهُ بِهِ، إِلاَّ نَفَعَهُ بِهِ»[٣].

٣- وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ أَصَابَتْهُ عِلَّةٌ فَبَدَأَ بِطِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، شَفَاهُ اللهُ مِنْ تِلْكَ الْعِلَّةِ، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ عِلَّةَ السَّامِ»[٤].

٤- وعن الإمام الكاظم عليه السلام في حديث طويل، قال: «لاَ تَأْخُذُوا مِنْ تُرْبَتِي شَيْئاً لِتَتَبَرَّكُوا بِهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ تُرْبَةٍ لَنَا مُحَرَّمَةٌ إِلاَّ تُرْبَةَ جَدِّيَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ عليهما السلام؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَهَا شِفَاءً لِشِيعَتِنَا وَأَوْلِيَائِنَا»[٥].

٥- وعن سعد بن سعد الأشعريّ، قال: «سألتُ أبا الحَسَن الرضا عليه السلام عن الطين الذي يؤكلُ، فقال: كُلُّ طِينٍ حَرَامٌ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، مَا خَلاَ طِينَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»[٦].

٦- وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أَكْلُ الطِّينِ حَرَامٌ عَلَى بَنِي آدَمَ مَا خَلاَ طِينَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، مَنْ أَكَلَهُ مِنْ وَجَعٍ، شَفَاهُ اللهُ»[٧].

وكما أن تناول التربة الحسينة للاستشفاء جائز وينال المؤمن به الشفاء، فكذا لتربة المعصومين من بركة الشفاء الكثير، بغير أكل طبعا كما تقدم، كالاكتحال بهذه التربة على سبيل المثال.

وقد عمل فقهاؤنا ومراجعنا بذلك، وقد نقلَ لنا التاريخُ مواقفَ عمليّةً في هذا المجال، منها: ما نقله السيّدُ نعمةُ الله الجزائريُّ عندما استشفى بهذه التربة الطاهرة لضعف بصره، فشفاه الله ببركة المعصومين عليهم السلام.

قال قدس سره في كتابه الأنوار النعمانيّة:

«فرجعنا الى بغدادَ، وأتينا من بغدادَ الى مَشهَد الكاظِمَين عليهما السلام، ثمّ أتينا إلى زيارة مولانا أبى عبد اللّه الحسين عليه السلام، وكنتُ قد أخذتُ تراباً من عند رأس كلِّ إمام، فأخذتُ من تُرابِ رِجْلَي الحُسين عليه السلام، ووضعتُه فوقَ ذلك التراب، واكتحلتُ به، ففي ذلك اليوم قَوِيَ بَصَري على المُطالعة، وصارَ أقوى من الأوّل، وكنتُ قد ألَّفتُ شرحا على الصحيفةِ الشريفة، فشرعتُ في إتمامِه ذلكَ اليوم، وإلى الآن كلَّما عرضَ لي رَمَدٌ أو غيرُه، اكتحلتُ بشيء من ذلك الترابِ، ويكون هو الدواء»[٨].

اللهم بحقِّ محمّدٍ وآلِ محمّدٍ الطيبينَ الطاهرينَ، لما شافيتنا من كلّ داء.

الهوامش

١- راجع: موقع مكتب سماحة مرجع المسلمين الأعلى، السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف) على شبكة الإنترنت. https://www.sistani.org/arabic/qa/02109/

٢- الكافي الشريف:٤/٥٨٨.

٣- الكافي الشريف:٤/٥٨٩.

٤- كامل الزيارات:٢٧٥.

٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/١٠٤.

٦- أمالي الشيخ الطوسي:٣١٩.

٧- وسائل الشيعة:٢٤/٢٢٨، ح٣٠٤٠٤.

٨- الأنوار النعمانية، ج٤، ص٢٦٩- ٢٧٠.

السيد نعمة الله الجزائري، قدم له وعلق عليه: محمد علي القاضي الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.





ألقــابُ البصرةِ الفيحـاءِ
في أقوال الشّعراء

د . صدّام فهد الأسدي

سُمِّيَت البصرةُ بأسماءَ مختلفةٍ هي إلى الأوصافِ أقربُ منها إلى الأسماء، منها المشهورةُ في التراث: (قبّةُ الإسلام - خِزانةُ الأَدَب - ذاتُ الوشاحَين - قبّةُ العِلْم - مَنارةُ العقاب - المؤتفِكَة - سوقُ العالَم - بُندُقيّة الشّرق - ثَغرُ العراق - حاضرةُ العَرَب - عَروسُ الخليج - مدينةُ الشَّناشيل).

وقد سُمِّيت في معجم البلدان (الرّعناء)[1]، وعلى حدِّ قول السَّمعانيِّ: «وقد سَمَّوها الرَّعناءَ لاختلافِ هوائِها في النّهار الواحد».

وَصلت ألقابُ البصرة الى أربعينَ اسماً، وهي تُفصحُ عن مزاياها المتعدِّدة ، ولو خرجنا من التاريخ للأدبِ، وتأمّلنا الشّعرَ العراقيَّ، نَجدُ أسماءها على ألسنة الشعراء .

١- تَسمياتُ البصريّين من الشعراء

قال السيَّابُ:

أَهابُ فرشَ جَفْني بالنُّعاس

رَنينَ أكوابِ

بماء البصرةِ الرّقراق

تملأُ ثمّ تسقيني.

وقد سمّاها الشاعرُ قاسمُ البدْر (البَصرةَ الشمّاء)

في البصرةِ الشمّاء قد بَلغَ المدى

رجالٌ، فجاءَ النصرُ حُلْواً وشافيا

وسمّاها (البصرةَ الفيحاء) في قوله :

وفي البصرةِ الفيحاءِ كلُّ جِراحِنا

تُلمُّ، ومنها يُقبلُ الفجرُ زاهيا.

وسمّاها الشاعرُ غالبُ الناهي (بصرةَ الشّوق) في قوله :

يا بصرةَ الشّوقِ المُخَضْرَم بين ولدانٍ وَحور.

وسمّاها الشاعرُ عبدُ الواحد باش أعيان (البصرةَ الغنّاء) في قوله :

بَصرَتي الغنّاءَ مَهلاً إنّنا قد سَعَينا في نضالٍ وَعَنا

وسمّاها الشاعرُ إبراهيمُ الوائليُّ (الفيحاءَ) في قوله :

وأَطَلَّ الصباحُ في البصرة الفيحاءِ والشطُّ قد بَدا

مَوّارا.

وسمّاها الشاعرُ كاظم الحِجّاج تسميةً جديدةً، وهي (مدينة الربّ) في قوله :

فأَبْصروا مدينةَ الربِّ التي تحرسُها الأنهارُ.

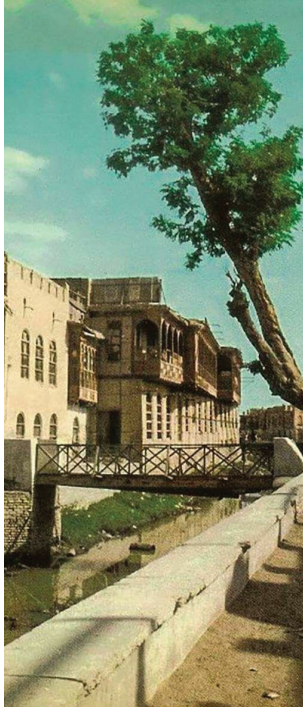
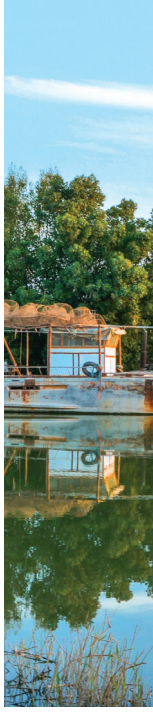
وسمّاها الشاعرُ فوزي السّعد باسمِها قائلاً :

لكي يهزّوا المهدَ حتّى كَبرَت مَدينةُ البَصرة

ولكنّه يقفُ غاضباً من زُرقة مياهِها قائلاً :

وأزهار البَنادِقِ والمياه وزُرقة البَصرة



ويسمّيها الشاعرُ كاظم نعمة التميميّ (عروسَ الخليج) في قوله :

فَمَن ظنَّ يغزو عروسَ الخَليج.

ويسمّيها الشاعرُ مجيد الموسويّ (المدينةَ الرائعةَ) في قوله :

أيّتُها المدينةُ الرائعة

الشناشيلُ وهي تنتصبُ وتكتَسي بِلَونِها الأبْنوسيِّ

ويسمّيها كاتبُ المقال (الفيحاءَ) في قوله :

أبقى أُحبُّكِ يا فيحاءُ ما بَقِيَتْ

تلكَ القوافي وقد أهواك للأبد

كانَ العراقُ الى الدنيا قلادَتَها

وبصرتي الخيطَ منهُ فاضَ بالزَّرْد

٢- تسمياتُ غيرِ البصريّين من الشعراء

واذا انتقلنا إلى تسمياتِ غيرِ البصريّين من الشّعراء، فالشاعرُ النجفيُّ محمّد علي اليعقوبيُّ يسمّيها (فيحاءَ) في قوله :

أَشْرَقْتِ يا فيحاءُ حُسْناً فاسْتوَت

فيكِ الليالي الغُرُّ والأيّام

ويعودُ بنا الى تسميتِها القديمة (ثغرَ العراق) في قوله :

وإذا تبسَّمَت البلادُ لأهلها

بِشْراً فانَّكِ ثَغرُها البسّامُ

وسمّاها الشاعرُ أنور خليل من العمارة (الفيحاء) في قوله :

عادَ الربيعُ الى الفيحاءِ نشواناً

فاستَقبَلَتْه محبّاً جاءَ لهفانا

وسمّاها الشاعرُ خالد علي مصطفى (الحبيبة العاشقة) في قوله :

أيَّتها الحبيبةُ العاشقةُ

وجهي مدن من طرق

إنّها البصرةُ النخلُ

ندخُلُها عاشقين.

وسمّتها الشاعرةُ بشرى البستانيُّ (أميرةَ الخليج) في قولها :

أيّتُها الأميرةُ في الخليج

وَجَدْتُ وجهَك طافياً

فَمدَدْتُ كفّي وانتشلتُ ثيابَك الزُّهر

ختاما: سمّاها أحدُ أبنائها في قولٍ رائع :

أُسميك ماذا أنثى، أميرَة

أم انّكِ أرْقى من التَّسمياتِ الكبيرَة

وتبقى البصرةُ أرقى من التّسميات .

الهوامش

١- معجم البلدان: ج ١/٦٤٧.

وَحيـــداً يـتـوغَّـلُ في البَيـاضِ



حَسَن سامي العبد الله

الى آيةِ اللّه، المرحوم، الشيخ محمّد أمين زين الدين وهو يلوِّنُ الغيابَ بحُضورِه..

لرؤياهُ بُعدٌ وَجيهُ السُّؤالِ
يُريدُ النَّفاذَ الى المُبهَم
وحيداً يَفُكُّ رُموزَ الظَّلام
ويتلو الصَّباحاتِ للأنجُم
عَناقيدُ أفكارِه الناضجات
تثيرُ الوضوحَ من الطَّلْسَم
لديه المُحالُ من المُمكنات
وماءُ اليقينِ لهُ يَنتمي
عَلى محجَرَيه وقارٌ قديمٌ
من النَّخلِ للآنِ لمْ يهرَم
إذا مازجَ الحبرَ بالمَوْعظات
يكونُ الصُّعودُ بلا سُلَّم
إلى عالمٍ مُفعَم بالبَياض
تجلَّتْ به حكمةُ المُلهِم
يُغذّي السُّطورَ بقَمحِ الكَلام
بكلتا يَدَيه النَّدى يَرتمي
لئنْ مرَّ لَوناً ببالِ الغُيوم
سيُحيي الأَزاهيرَ في المَرْسَم
يُربّي بأكوابنا سُكّراً
لذيذاً ليومٍ منَ العَلْقَم
رويداً .. رويداً يزيحُ الغُبارَ
عن الآسِ والسَّوسَنِ البُرعم
غناءُ العَصافيرِ وَقتَ الغُروب
بقايا دعاءٍ لهُ مُغرَم
شَفيفٌ يؤثِّثُ فَصلَ المَقالِ
هُدوءاً ويُهديه للمُعجم
هو (الشيخُ) ينحَتُ طينَ الحياة
أناشيدَ للوَطَنِ المُعدَم

لِكَيْ لا نَنسى... كانَ بَصْرِيّاً

إيمان طالب



وقتٌ مختلفٌ، وَحَدَثٌ جَديدٌ، يومُ الجمعة في النّصف من شعبان، الرّابعَ عَشر من شهر حزيران لعام ٢٠١٤، صَدَحَ صَوتٌ صاخبٌ في كلِّ مكانٍ، كانتْ حنجرةً داعيةً لإنقاذ ذلكَ النّورِ الذي يُبهِرُ الأبصارَ فَتَحارُ الأبصارُ عنه.. والذي كادَ ينطفئ غارقاً بالدماء بلا ضَجّة، ليسَ شعاراً، بلْ وفاءً انطلقَ الآلافُ نحوَ الجزءِ الغربيِّ من ذلك النّور.

تدلّى صوتُ تلك الحنجرةُ إلى مسامعِ (محمّد)، إلّا أنّه لم يكن صوتاً عابراً؛ ولم يتهاون ذلكَ الشابُّ الثلاثينيُّ.. فمِن أرضِ الماءِ والرَّواء[1] انتهضَ ليلتحقَ بحجِّ الدماءِ وحشدِ الإباء.. لقد كانَ كاتباً هاوياً.. إلّا أنَّه فضَّلَ التضحيةَ على أن يكتفِ بكتابةِ ما يجري حولَه من أحداث، واستعدَّ مُتَلَهِّفاً وقد سمع مآسيَ أيقضَت في داخله كوامنَ شَجَنة.

ارتدى زيّهُ الـ(حشداويّ)، واستعدَّ مع بزوغ شمسِ اليوم التالي.. انتقلَ بنظره نحوَ أبنائِهِ الثّلاثة، موزِّعاً ثلاثَ قُبُلات على رؤوسهم، ثم انتقلَ بنظرة نحوَ إحدى الغُرَف.. مشى نحوَها مُسرعاً، واستغرقَ مكوثُه فيها دقائقَ حتّى خرَجَ منها، وقد صحبَ معَه شيئاً كان يسمّيه (حِرزاً) ووضعَه في حَقيبته، بينَ أغراضه، ثمَّ ودّع عائلتَه الصغيرةَ، وانطلق ليُسابقَ من سبقهُ في الوفاء، وكانَ بأبهى صورةٍ، وكأن له موعدٌ مع الحريَّة الحقيقيّة، بل وكأنَّه ينتظرُ هذا الموعدَ منذ فترةٍ ليست بوجيزةٍ؛ فانطلقَ ملبّياً...

كان طريقُ رحلته اشتياقاً للوصول، نعم.. كان يشعرُ وكأنَّ الطريقَ يطولُ ويطولُ، وقد استحالت مسافتُه أيّاماً ولياليَ لا ساعات، فوصلَ أخيراً بمعيَّةِ ثُلَّةٍ من خيرةِ أبناءِ مدينته إلى جبالِ (مَكْحول)، فوجدوا تلكَ البقعةَ تذرفُ دموعاً حمراءَ.. وما إنْ وصلوها، حتّى بدأت تُكَفْكِفُها، رأوها قد تغيّرت كثيراً، فكانت ملامحُها تثيرُ غيرةَ العدوِّ فَضلاً عن الصّديق؛ فتساءلوا: لأيِّ جنسٍ من البشر ينتمي الـ(دَواهي)؟

المحافظاتُ الغربيّةُ.. اختلطَ فيها لونُ الدُّخان بالدّماء، صارت وكأنَّها ليست هي، وحتّى أنَّ أهلَها قد استوحَشوا فيها، لا ماءَ ولا غذاءَ، فقط نزيفُ دماءٍ، وصورٌ متعدّدة للمأساة.. أوشكت أن تخبرَهم بأنّها تستغيثُ بهم؛ فلا يزالُ الـ(دواهي) ينهشون ما تبقّى لها من مَلامح، حتّى أنّ رائحةَ الموتِ كانت تفوحُ من بينِ ذرّات تُربتها، وكأنَّهم أجابوها: «كيفَ لكِ أن تحزَني وَسماء ربّك مفتوحةٌ لك دائماً، وسواعدُ أبنائك وأرواحُهم فداك؟!».

تكاتَفَ النُّبلاءُ، وشدّوا عزمَهم؛ ليحقّقوا قياماً يغيثونَ به تلكَ البُقعةَ؛ فبدأوا يصولون ويجولون، وقد اشتدَّ بأسُهم وضِرابُهم؛ فوقفوا وقفةَ رَجلٍ واحدٍ كأنَّهم بُنيانٌ مرصوصٌ.

لاحَ حبُّ نصرِ اللهِ والفتحِ لأعينهم، وحملوا أرواحَهم على أكفِّهم فداءً لأرضِ الشُّهداء.

في غضونِ أسبوعٍ واحدٍ، حقَّقوا انتصاراتٍ، وأثبتوا للعدوِّ قوّةَ صلابتِهم، وثباتَ موقفِهم، على الرُّغم من قلّةِ السِّلاح والعتادِ، ووقوعِ عددٍ ليسَ بالقليلِ من الشُّهداء.

إلّا أنَّ هناك بُقَعاً في الموصل لا زالت تنزفُ، ولا زالَ الأبطالُ يسطّرونَ الملاحمَ حيناً، ويبتهلون للهِ ويدعونَه حيناً آخرَ، أمّا استراحاتُهم.. فكانت استذكاراً للمواقف المشرِّفة لشهداء الطَّفِّ، أمثال: قعنب التميميّ، ويزيدَ بن ثبيط العبديّ، وولديه: عبد الله وعبيد الله، وهم بصريّون؛ فمنهم نهلوا، وعنهم انتَهلوا.

مضى شهرٌ.. وهؤلاء الأباةُ يصارعون الظروفَ؛ ليستردّوا ما يحاولُ الباطلُ أخذَه منهم.. شهرٌ وهم يفترشون الصخرَ ويلتحفونَ السَّماء، وإذا ما جاءت ليالي الأربعاءِ، يستظلّونَ بالسماء، متوجِّهين، منادين «يا وَجيهاً عند الله، إشفعْ لنا عند الله...». وإذا ما جاءت ليالي الجُمعِ، سُمع صدى ابتهالاتهم: «يا سريعَ الرّضا.. إغفرْ لمَنْ لا يملكُ إلّا الدّعاء...»، حتّى تشعرُ أنَّ بنادقَهم تتوجَّه معهم، وتتدحرجُ من فوهاتِها الدُّموع.

في إحدى استراحاتِهم، حينَ جاء الليلُ وأطلَّ القمرُ الحزينُ على تلكَ المنطقةِ بضوئِه الخافت.. ذهبَ (محمّدٌ) إلى حيث حقيبة أغراضه، فتَحَها، فاكتسى وجهُه بلونِ الوردِ بعدَ شُحوبه، ولاحت على محيّاهُ



ابتسامةٌ بعينينِ مغرَورِقَتَين اشتياقاً؛ فقد رأى ذلك الـ(الحرزَ)، فتحَه.. ولثمَه وقد أغمضَ عينيه حتّى كأنَه سها عن دُنياه قليلاً.

أهوَ حقّاً (حرزٌ)؟ أو: ما هو ذلك الـ(حرز)؟!

كانت قطعةَ قماشٍ صغيرةٍ.. تعودُ لأعزِّ مخلوقٍ عليه، وأحبِّ مخلوقٍ إليه.. كانت عصّابة أمِّه الراحلة.. استمرَّ يستنشقُ عطرَها بقوّة؛ فهي عِطرُ مدينتِهِ وذكراها في طريقِ رِحلته، كانت تحمل عطرَ البَصرَة ونسيمَ أنهارها.. وأجمل صور أهوارها.

أعادَ ذلك الـ(حرزَ) الى حقيبته بعدَ دقائق من إمعان النظر فيه، وكان بين أغراضه أيضاً دفترٌ صغيرٌ (مفكّرة) وقلمٌ، هذان الشيئآن اللذان لا يتخلّى عنهما كاتبٌ.. فأخرجهما، واقتطعَ من تلكَ المفكّرةِ وُرَيقاتٍ بعدد من كان معه من المجاهدين، وذهب بها الى حيث أخوته، وبدأ يحدِّثهم عن الشَّهادة، وكيفَ ستكون حياة حقيقيَّة أبديّة في عالمٍ آخر.. استأنسَ الجميعُ وتمنَّوها في قلوبهم بحقّ.. فهنيئاً لذلك الوطن الذي ينجبُ مثلَ هؤلاءِ الأبطالِ، شبابٌ اتّخذوا من التضحية مَبدأً راسخاً لا يحيدون عَنه.

وبعدها، نهض موزِّعاً تلك الوريقاتِ عليهم، طالباً من كلِّ واحدٍ منهم تدوينَ ما يرغبُ بإيصاله إلى ذويه بعد استشهاده، قائلاً: «... وإن استشهدَ أحدُنا، فستكون مهمّة الآخر إرسالَ رسالةِ الشَّهيد الى من كُتبت لأجلهم...».

تحمَّسَ الجميع لفكرته؛ فبدأوا يكتبون الواحدَ تلوَ الآخر، بذلك القلم الوحيد الذي ينتقل بين أيديهم، وكان (محمد) آخرَهم، وقد كتب:

«عائلتي الصّغيرة... بعدَ التحيّة والسلام والاشتياق.. جزءٌ من بلدنا نَزفَ وما يزالُ ينزفُ، ودماؤنا أقلُّ ما نقدِّم لتندمل جِراحُه، فقدَّمتُ نَفسي ودَمي إليه..

ولدي الأكبر (علّي): حيثُ تقرأ أنتَ هذه السطورَ.. أكونُ أنا قد استجيبَ لي، وصرتُ في عِداد شُهداء البَصرة. وصيَّتي إليك: أن ترتديَ ثيابَ شَهادتي؛ لأنّها ستليقُ بك أكثرَ منّي، وحينَ يكونُ

ذلك.. إحملْ روحَك على راحتَيكَ وقدِّمها للوطن؛ فهو من يستحقّ.

ولا تنسَ أن يكونَ معكَ ما تستنشقُ منه عطرَ البصرة دوما، كما جعلتُ أنا (عصّابةَ أمي) ذكرايَ هنا، ورفيقة طريقي...».

مضت أيّامٌ وليالٍ، والأباةُ يتصدَّونَ للهجماتِ مَرّة ويغيرونَ على الـ(دواهي) أخرى، آخذينَ عزمَهم من عَزم أبي الفَضل (عليه السلام)، فكانَ بعضُهم يُضمِّدُ جِراح بعضٍ، والسماءُ فوقهم بلونِ الدّخان، إذا استراحوا.. فاستراحاتُهم ركعاتٌ وسجداتٌ، وهم يتنقّلون من قاطعٍ لآخرَ، فبينَ جِبالِ (مَكحول) وجُرفِ الـ(نّصر) و(بيجي)، لم يكِلّوا أو يملّوا.. كان ينبثقُ من بنادقِهم جحيمٌ متَّقدٌ.. وودَّعوا أرواحاً رافقتهم في عِدَّةِ مَعارك؛ فقد هوى من بينهم عِدَّةُ شُهداء. وكما عزموا.. فمن لم تعانِقْه الشَّهادةُ، احتفظ بوصيّة من عانَقَته؛ ليوصلَها إلى ذويه إذا ما عاد إلى مدينته.

ومن قضاء (بيجي).. تهافَتت الاتصالاتُ على (محمّد) ومن معَه، تطالبُهم بمدِّ يد العون والقدوم إلى القضاءِ الذي حاصره الـ(الدواهي)؛ فتوجَّه إلى هناكَ عددٌ من الأباة وعشّاقِ الشَّهادة، وما إنْ وصلوا.. حتّى بدأوا بالمواجهات، وقد شاركوا في قِيام لم تَعهَد له الصحراءُ الغربيّةُ نظيرا، صالوا وجالوا بكلِّ ما آتاهم اللّهُ من قوّة، وكان الموتُ الزؤامُ ينبعثُ من فوهاتِ البَنادقِ، جاعلاً كلَّ فردٍ من الأعداء يترنَّحُ ويتمايلُ ثمَّ يهوى ساقطاً في جهنَّم.. نزالٌ دامَ أربعةَ أيّام متوالية، لم يذُق أحدٌ منهم طعمَ الراحة خلالهَا، وهنا أيضاً عانقت الشَّهادةُ ثلاثةَ عَشَرَ فَرداً منهم، كافحوا وكافحوا حتّى نالوا المَنون. أمّا الـ(دواهي)، فقد صاروا كـ﴿رمادٍ اشتدَّت به الريح في يَوم عاصف﴾.. وهنا حقّقَ الأبطالُ نصراً عظيماً.. إلّا أنَّ بعضَهم كانوا جَرحى، وبعضَهم أصيبَ بإصاباتٍ بليغة، كان (محمّد) سيّدَ الموقف.. فصارَ يُضمِّد جراحَ بعضِهم، ويخرجُ وصايا الشُّهداء من ثيابِهم الحمراء، حتّى أتاهم الدّعمُ من أفراد الجيشِ والحشدِ، ونَقلوا الشُّهداءَ والجرحى إلى مستشفى المحموديّة، ومنها إلى مستشفى الكاظميّة في بغداد.

ساعة وهدأت الأوضاعُ نوعاً ما في تلك المنطقة، أخذ (محمّدٌ) ذو الشّعر الأبيضِ من أثرِ النّقيع يتجوَّل بين الجُثث العفنة لـ (دواهي)، وفي لحظة تأمُّلٍ.. قال يحدِّث نفسه: ((أهؤلاءِ هم من يطلقون على أنفسهم (الأمراء)!؟، ها هم في حَضيضِ الدّنيا قبل الآخرة.. أمَّا شهداؤنا.. فهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون.. وبما آتاهم ربُّهم فَرِحون. ما أشبهَ هذا الموقفَ بموقفِ (مسلم بنِ عقيل)؛ إذ رَمَوا أولئكَ أنفسَهم من أعلى قصرِ الإمارة حينَ رَمَوا جَسَدَه.. ها هو اليوم له قبّةٌ ومزارٌ.. يسلِّمُ عليه الأحرارُ من جميع أنحاءِ العالم. أمّا أولئكَ، فقد خيَّم شبحُ الهجران على قبورِهم المنسيّة.. بل مَكثَ عندها...)).

تألَّم (محمّدٌ) وهو يستذكرُ بطولاتِ إخوته، وتحليقَ أرواحِهم الواحدَ تلوَ الآخر، تألَّم وهو يستذكرُ نظراتِهم..، ابتساماتِهم..، أصواتِ تهجُّدِهم بالدّعاء، وهنا تدحرجت من عينِه دمعةٌ، مسَحَها بطرَفِ كُمِّه، وأخذَ يطَّلعُ على عناوينَ خطَّتها أناملُهم في أطرافِ وصاياهم، التي أخرجها من ثيابَهم الحمراء المثقَّبة، وقد وضعَ الوصايا التي تحملُ عناوينَ تعود لمحافظته الفيحاءِ بمعزلٍ عن الباقي؛ ليوصلَها بنفسِه إلى أصحابِها...

عادَ (محمّدٌ) إلى البصرة، فاستبشرَت أساريرُ



ذويه، وقد استقبلوه وكأنَّه عريسٌ في يوم زفافِه.. قضى مع عائلتِه يوماً واحداً، وانطلق في اليوم الثاني؛ فله ضميرٌ يهيب به أن يضحّي بساعاتِ راحتِه وأنسِه بأهله، أخذَ يحومُ بين تلك العَناوين؛ إذ شغل تفكيرَه – صباحاً ومساءً- واجبُه في إيصالِ الرسائلِ، وكان أغلبُها يتَّجهُ نحوَ شمال البصرة.

تراءت لـ(محمَّدٍ) في جولتِه قصصٌ شتّى.. قصصٌ لنجوم زيَّنت سماءَ الفِداء، وثبتت فيها؛ ففي كلِّ بيتِ شهيدٍ يزوره، يجد قصّةً تحمل طابعَ الفخر من جميع جوانبها؛ فشهيد.. كان مبلِّغاً رساليّاً، وخطيباً حسينيَّاً، إماماً لصلاة الجماعة، ابنَ ثمان وثلاثينَ سنة، زهدَ بالدنيا وملذّاتها، كانَ حينَ يقدَّمُ له الطعام.. يقبِّلُ الخبزَ ويضعُه على جبينه[٢].

أمّا العائلةُ الثانيةُ، فتحدَّثت عن شهيدها الذي عشقَ سيِّدَ الشهداء؛ فكان يقصدُه ماشياً في كلِّ زيارةِ أربعين منذ السابعة من عمره، إلى حين استشهادِه وهو ابنُ التاسعةَ عَشرة[٣]. وذلك الكهلُ، في الرابعةِ والخمسينَ من عمره، ذو هيبة ووقار، كانَ مَقصَداً لأبناءِ منطقتِه في كلِّ ما فيه خيرٌ وصلاحٌ في القضايا الدينيّة والاجتماعيّة، وقد رحل تاركاً وراءه ذِكْراً طيّباً، وكلَّ خير[٤].

استمرَّ (محمّدٌ) بإيصال رسائلِ الشُّهداء، ووصاياهُم. وهذه المرّةُ، كانَ الشهيدُ شيخاً في الثالثة والستين، وهو أحدُ وجهاء عشيرته، راجحَ العقل، قادراً على استيعاب المشاكلِ وإيجادِ الحلول لها، وكانَ نبأُ شهادته صاعقةً اخترَقَت قلوبَ وعقولَ محبّيه[٥].

كان من بين تلك الكواكب أبٌ لسَبعَة أبناء، تركَهم ورَحَل[٦].

ونجمٌ آخرُ قد أوصى والدتَه كثيرا بالدّعاء له لنيل الشهادة، والزّغردةِ ونثرِ الحلوى على جنازته، وتشغيلِ القَصيدة الحسينيّة (يحسين بضمايرنه) في مراسِمِ تشييعه.. نعم، هي كانت وصيةُ شهيدٍ له من العمر سبعٌ وعشرون رَبيعاً[٧].

أمّا فتى الحَشد، فغلامٌ في الرابعةَ عشرةَ، رغمَ صِغَرِ سنِّه، إلّا

أنَّه كان يَعتبرُ الشّهادة من أساسيّاتِ الدّين[٨].

وهناك شهيدٌ، أكثرُ شيء افتقده موكبُه الحسينيُّ، الذي خدم فيه منذُ طفولتِه وحتّى استشهادِه، وهو ابنُ الحاديةِ والعشرين[٩].

واستمر (محمّدٌ) يتنقَّلُ بينَ عوائل انطفأت مصابيحُها في الأرض لتضيءَ سماءَ ليلِ المجاهدين في سوح القتال، وتنيرَ ظلامَ صحرائِهم. ومن بين تلكَ المصابيحِ، ذلكُ الأربعينيُّ الذي لم تفارق المسبحةُ يَدَه، وقد كان ممَّن لاحقَه النظام الصداميُّ؛ إذ لعنَ الطاغيةَ في أَحدِ المجالسِ الحسينيَّةِ أمامَ أزلامِه؛ فاختارَ مواجهةَ الـ(دواهي)؛ ليشاركَ في اجتثاثَ تلكَ الشجرة الملعونة من جُذورها[١٠].

واستمرَّت جولاتُ (محمّد) بينَ تلكَ القصصِ، التي تزيدُه إصراراً على الشهادة، مضى يومان، وهو يستمعُ لتلكَ القصصِ من ألسنةِ ذوي الشُّهداء، وكان هذه المرّة وسطَ عائلةٍ شهيدُها رادودٌ حسينيٌّ، طيّبُ الخُلُق، سخيُّ الطبع، خادمٌ للمذهب، صادقُ الحديث، مؤدٍّ للأمانة، راشدٌ للشباب، مواظبٌ على أداء صلاة الليل[١١]، فأيّ صفات حَسَنة لم يتمتَّع بها شهيدُنا البصريُّ بعد!؟

(صاحبُ الابتسامة الأنيقة) لقبٌ لشهيدٍ آخرَ، عُرف به بين أصدقائه، كانَ يستقبلُ النصيحةَ بوجهٍ طلقٍ، شهيدٌ كانَ قد باشرَ ببناءِ منزله الصغيرِ؛ استعداداً لإكمال نصفِ دينه، لكنَّ الشهادةَ اشتاقتْه، ولم تمهله، فزُفَّ شَهيداً لا عَريساً[١٢].

نعم.. كانت صِفاتٍ جعلت الشهادةَ تعشقُهم وتشتاقُهم، نادتهم: هلمّوا.. فلبَّوا مُسرعين.

كانت خطواتُ (محمّدٍ) تزدادُ ثقلاً بعد زيارته لكلِّ عائلة، وسماعِه لكلِّ قصَّةٍ؛ التهبَت جمرةُ غضبِه أدَّت اشتعالاً؛ فآلى على نفسه إلا أن يرجعَ الى الصحراء الغربيّة، وألّا يعودَ إلّا وعلمُ وطنه يزينُه؛ فما سمعَ من قصصٍ حريٌّ بها أن تَزيده عزماً.

عادَ لصحرائِه برأسٍ شامخٍ، وإصرارٍ يأبى معه إلّا أن ينالَ الحُسنيين معاً؛ فخطَّطَ مع إخوته المجاهدين لقيام على المرتزقة الـ(دواهي)، أطلقوا عليه: (عملية قيامِ أبناءِ التوّابين)، وبدأوا معاً بالقيام، هذه المرّة كان (محمّدٌ) واضعاً الشهادة نصبَ عينيه، رابطاً حِرزَه (عصابة أمه) على خوذته؛ ليشمَّ منها عبقَ بَصرَته، وأهوارِها وتربتِها وعطرَ عطائِها، حاملاً قنّاصه الغاضبَ، الذي يزهقُ - مع كلِّ إطلاقه - روحاً من أرواح المرتزقة، ومع كلِّ روح يزهقُها، يذكرُ اسمَ شهيدٍ وكأنَّه قد أخذَ بثأره، كانَ يصولُ ويجولُ، يكرُّ ولا يفرُّ.. وفي كلِّ لحظة كان يرتِّل الشوقَ لتفاصيلِ مدينتِه المِعطاء، وكأنَّه لن يبصرَ نورَها ثانية.

استمرَّ هذا القيامُ لساعاتٍ متواليةٍ.. كان (محمّدٌ) في موقعه، يراقبُ ويقنصُ ويحصدُ الأرواحَ، فسمعَ نداءاتِ إخوتِه بالتكبيرِ والصلواتِ والتلبيةِ.. مردِّدينَ شِعاراتِ النَّصر؛ فارتسمت على شَفَتيه كلمةٌ جميلةٌ بلا حُروف، مستمتعاً بهتافاتِ النصر، فخرجَ من عَرينه ليشاركَهم فرحةَ النصر، تحرَّكَ ناحيَتهم، فجاءته مسرعةً، كانت رصاصةَ أحدِ الـ(دواهي)، الذي كان يلفظ آخرَ أنفاسه.

استقرَّت تلكَ الرصاصةُ في رقبة (محمَّد).. جلس بكبرياءٍ مخاطباً نفسه: «أخيراً .. سيُرفع اسمي بين أسماء شُهداء البَصرة».

كانَ جرحُه ينزفُ بغَضَب، وإخوتُه يتسارعون نحوَه



مذعورين، متعثّري الخُطى، وصلوا عنده، رفعه أحدُهم ووضَعَ رأسَه في حِجرِه، إلّا أنّ (محمداً) بدأ يغمضُ عينيه شيئاً فشيئاً، وأصواتُ إخوته تتعالى عنده: «(محمّد)، أنتَ بَطَل، قُمْ وشارِكنا فرحتَنا، لا تُغمِضْ عينيكَ، كلِّمْنا، ستكونُ بخير إن شاء الله.

(محمّد).. هيّا، لا زالَ لدينا ما ننجزُه معا».

وبينما هو يسمعُ صيحاتِهم، أخرَجَ وصيَّتَه، ووَضَعها في يدِ أحدِهم، إرتفعَ صوتُه للحظة مردِّداً أحدَ أبياتِ الشّاعرِ البصريِّ (إبراهيم الوائليّ)، قائلاً:

أيستمتعُ بالنورِ من استسلمَ للغَفوة

نطقَ الشّهادتين، ولفظَ آخرَ أنفاسِه بثَغرٍ باسم، وقد أضافَ وسامَ شرفٍ لأوسمةِ مدينتِه المِعطاء، ملتحِقاً بأولئك الذين «فيهم مَسحَةٌ من أصحاب الحُسين»[١٢]، ولا زالت ذكرى بصرتِه متمسِّكةً بخوذته.

رَحلَ (محمَّدٌ) تاركاً الميدانَ لأبنائِه، ولا زالت لهذه القصّةِ بقيّة...

الهوامش

١- وصف لمحافظة البصرة، أطلقه عليها الشاعر السوري أنور العطار (ت: ١٩٧٢) في قصيدته (ظلام الأيام)، مجلّة الخطوة، ع: ١٣، ص: ٩٤.

٢- إشارة لحياة الشهيد البصريّ (السيّد باسم البطاط).

٣- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (السيّد قاسم البطاط).

٤- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (السيّد ياسر الياسري).

٥- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (خنصر العيساوي).

٦- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (يحيى المحمّدي).

٧- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (سيف العبّاس).

٨- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (حسين المبارك).

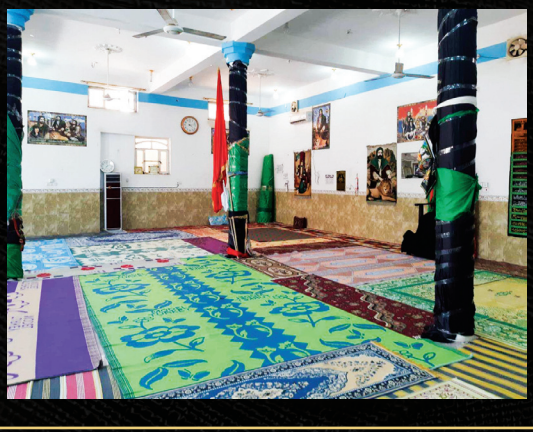
٩- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (سيف المحمّداوي).

١٠- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (فالح العيداني).

١١- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (رافد الأجودي).

١٢- إشارةَ لحياة الشهيد البصريّ (وعد التميمي).

١٣- وصفٌ للشهداء وصفهم به المرجعُ الأعلى، السّيدُ عليّ السيستاني (داك ظلُّه الوارف).



مَأتمُ حِصَّة المُلاّيَة

الأستاذ شوقي العبادي

مَن هي حِصّة؟ هي حِصّةُ بنتُ عوّاز بن عبّود بن ضاحي الحجّاج، وُلِدَت بحُدود عام ١٩٠٠م، ونَشَأَتْ في ناحية الهوير ، وقد كانت قريةُ (الهوير) قريةً صغيرةً تحيطُ بها المياهُ من كلِّ جانبٍ، وتتخلَّلُها العديدُ من الأنهارِ الصغيرةِ، وأهمُّها نهرُ الهوير، الذي يتَّصلُ بنَهرِ الفُرات .

كانت معظمُ المَنازل من القَصَب والبَرديّ، وبعضُها من الطّين، وكانَت البيوتُ المبنيّةُ من الطابوق نادرةً في ذلك الوقت .

تَربَّتْ في منزل أبيها، الذي بُني من القَصَب والبَرديّ ، وكانَ منزلاً صغيراً، إلاّ أنه كان مملوءاً بالدِّفءِ والتّقوى.

وفي سنٍّ مبكِّرةٍ أتقَنَت القراءةَ، والكتابةَ، وحفظَ القُرآنِ الكريمِ في منزلِ العائلةِ على يَدِ والدتِها وخالاتِها وجدَّتِها .

كان منزلهُم بمثابةِ دارٍ للعلمِ والتعلّم؛ إذ أنَّ دورَ العائلةَ في المنطقةِ حافظَ على تعليمِ القراءةِ والكتابةِ لأغلبِ أبناءِ القريةِ، وقد كانت تُقامُ حفلاتُ ختمِ القرآنِ الكريمِ للتلاميذِ المتخرِّجينَ، وتسمى بالزَّفة ....

وبعد وفاةِ والدِها وحصولِها على إرثِها، الذي كان عبارةً عن بيتٍ صغيرٍ من القَصَبِ، قامت بإنشاءِ (المأتَم)، الذي حوَّلَته إلى ملتقىً لإقامةِ الشَّعائرِ الخاصّةِ بأهلِ البيتِ عليهم السلام، حيثُ تقومُ هي بقراءةِ المآتم.

وكانت تعملُ التَّشابيهَ في أيّامِ عاشوراء ، وينقلُ لي الوجيهُ أبو توفيق (جاسم بارود) أنَّه عندما كانوا أطفالاً، كان يمثِّلُ هو والسيّدُ جعفر الحلو (حفظه الله) دورَ أولادِ مُسلم وسطَ حُضور نسائيٍّ مَهيب .

على مدى حياتِها الزاخرةِ بخدمةِ العلم، تخرّجَ على يَدَيها الكثيرُ من الشّخصيّات البَصريّة، منهم :

١ـ الشّهيد عبدُ الزهراء عُثمان (عزُّ الدين سَليم).

٢ـ عبدُ العزيز الحاج عبد الحسين السَّلَمي.

٣ـ الحاج إبراهيم العباديّ .

٤ـ الحاج عبد المُحسن معارج الحجّاج .

كانت (رحمَها اللهُ) ـ لحفظِها القرآنَ ـ تستخدمُ آياتِه لشفاءِ المَرضى، ومباركةِ الأطفالِ حَديثي الولادَة .

رحمَ اللهُ (المُلّايَة) حِصّة ، وأسكَنها فَسيحَ جَنّاته؛ فقد كانت أُنموذَجاً إيمانيّاً في قَريَة الهوير.



الشّهيدان السّعيدان
خُنصُر مَنخي العيساويّ، وولده: رياض

الشيخ مُدرك الحَسّون



قد تكون النتيجةُ والنهايةُ بعيدةً كلَّ البُعد عن المقدّمات وفقَ الحساباتِ والتوقُّعاتِ والموازينِ والمعاييرِ البشريّة لدى دول الاستكبار، التي تحكُم العالم، وتصولُ وتجولُ فيه، وتعبَثُ بمقدَّرات الأُمَم والشّعوب، وتقتلُ كلَّ ما عندَها من قِيَم ومُثُل وأخلاق، وتنهبُ وتسرقُ ما بدا لها، بل تجبى إليها خيراتُ الفُقراء بِيَدِ أُمراءٍ خَوَنة، وحُكّام جَهَلة، وأعوانٍ وأذنابٍ ظَلَمة ، أصبحوا القَرينَ الأوحدَ الذي لا يفارقُهم ولا يفترق عنهم، بل أضلّ سَبيلا.

هذا بحَسب موازينِ البَشَر البعيدين كلَّ البُعد عن يدِ الغيبِ وخالقِ البشرِ ومقدِّرِ شؤونهم كلّها، وأمّا بحسبِ الموازينِ السماويّة والسُّنَنِ الكونيّة والتقديراتِ الإلهيّة الغيبيّة، فإنَّ تلكَ النتائجَ أمورٌ حتميّةٌ ونهاياتٌ واقعةٌ لا تتخلَّف؛ لأنَّ للباطلِ جَولةً، وللحقِّ صولةً ودولةً، فلابدّ أن يظهرَ الحقُّ وينتصرَ، ولا بدّ أن يزهقَ الباطلُ ويتقهقرَ.

المعادلة عندنا مُسَلَّمةُ النتيجة، وضروريّةُ النهاية؛ لأنّها من سُنن اللّه جلَّ شأنُه في خَلقه؛ فقد كتبَ الغَلبةَ والنهايةَ لعبادِهِ المستضعَفين؛ إذ هو الغالبُ القاهرُ فوقَ عباده، فَعّالٌ لما يريد، فهو القائلُ بالحق: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

فهذه قصصُ الأُمَمِ السالفةِ وأحوالُها، يُستَرَقُّ المستضعَفون ويستعبَدون، ويُسَخَّرون للأعمالِ المضنيةِ الشاقّة، وَيَرزَحونَ طوالَ حياتهم تحتَ سياطِ العَبوديّةِ والاستحقارِ من قِبَلِ مُترَفيها، من حُكّام وفَراعنةِ غَرَّتهم سَطْوتُهم غرورا، حتى ادَّعوا الربوبيّةَ من دون اللّه عزَّ وجلَّ، لكنّ، كانت نهايتُهم نهايةً لا تكاد تُصدَّقُ، ولا تخطرُ على قلبِ أحَد؛ فما هي إلا لحظاتٌ وإذا بهم كأنّهم ما كانوا في الوجود إلّا بالذكر السيِّء والعبرةِ لمن يَعتَبر.

إنتهى جَبروتُهم وكبرياؤُهم بشيء لم يكن مَعدوداً من الأسلحةِ الفتّاكة (النوويّة وغيرها)، ولا بأسلحةِ الدّمار الشاملِ، ولا بالطائراتِ القاذفةِ النفّاثة، ولا بقنابلَ عنقوديّةٍ محرّمةِ الاستعمالِ على الضُّعفاء الذين لا يملكونها أصلا، ولا بجيوشٍ عرمرمٍ قاهرة، بل بشيءٍ يُعدُّ بصورته الأوّليّة ممّا لا خطر فيه، هذا ما حصل لفرعونَ وهامانَ وجنودِهما، ولنمرودَ وقومٍ تُبَّع وقومِ صالح وغيرِهم من الجبابرة الطغاة، وهكذا هي السننُ الكونيّةُ الحاكمةُ في النهاية لهذا العالم.

وقد أخبرَنا الرسولُ الكريمُ صلى الله عليه وآله بأنَّ أمّته سائرة في هذا النحو، وهذه السننُ التي سارت عليها القرونُ السابقةُ شبراً بشبر، وذراعاً بذراع؛ إذ قال: «لتركبُنَّ سنّةَ مَن كان قبلَكم حَذْوَ النَّعلِ بالنَّعل، والقَذَّةِ بالقَذَّة، لا تخطئونَ طريقَهم ولا يخطى، شبرٌ بشبر، و ذراعٌ

بذراع، وباعٌ بباع، حتّى أن لو كان من قَبلَكم دخلَ جُحرَ ضَبٍّ، لدخلتموه، قالوا: اليهودَ والنصارى تعني يا رسولَ الله ؟ قال: فمن أعني؟»[٢].

وهذه النتيجةُ مكتوبةٌ في الزبور قبلَ القرآن كما أخبرَ تعالى في كتابه المجيد إذ قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣].

وَفي نهاية المطاف، في آخرِ الزمان، عندما تمتلئُ الأرضُ ظلماً وجورا، وينتشرُ الفسادُ في البرِّ والبحر، ويأذنُ اللهُ تباركَ وتعالى بقيام دولةِ الحقِّ، تكونُ حكومةٌ وُلّيت حاكميّةَ العالم بيد هؤلاء المستضعفين، يقودهم خليفةُ الله في أرضهﷺ، الذي أنبأ اللهُ جلَّ وعَلا ملائكتَه حين خلقَ الخلقَ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٤]، فهو الغايةُ من الخَلق، والغايةُ من بعثة الأنبياءِ والرسلِ والأوصياءِ والأئمَّة، إماما بعد إمام، وهادياً بعد هاد، ووصيّا بعد وصيّ، لذا، أكّد النبيﷺ هذا المعنى، فقال : «لو لمْ يبقَ من الدنيا إلّا يومٌ واحدٌ، لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتّى يبعثَ اللهُ رجلا مِنّي أو: من أهل بيتي –شكَّ من الراوي– يواطئُ إسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمُ أبي ، يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً»٥.

وها هم المستضعفونَ في الأرض، أيتامُ آلِ محمّدﷺ، تعودُ بهمُ الأيّام والشهورُ والسنينُ، ويتخلّصوا من نظامِ قهرَهم بِسَطْوتِه وطغيانِه، وأكثرَ فيهم القتلَ والتعذيبَ والسّجنَ والتهجيرَ.

ومن المنتظرينَ لدولة الحقِّ والعدلِ المنتظَر شهيدُنا الفقيدُ المنتَظِر، الشيخُ المجاهدُ القائدُ خنصر منخي جودة العيساويّ وولده رياض خنصر العيساويّ.

وُلد الشهيدُ خنصر منخيرحمه الله في محافَظة ميسان



سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)، وقد سكنَ البصرةَ في منطقة حيّ الحسينعليه السلام (الحيانيّة)، وهو متزوّج ولديه تسعةُ أولاد، يعملُ كاسباً لقوت نفسِه وعياله وصيانةِ ماءِ وَجهه، منعتهُ متطلّباتُ المعيشة وضائقةُ الحال عن إكمال تعليمه الأكاديميّ، بعدَ أن كان قد حصل على التعليم الابتدائيّ في مدرسة(ميسان).

كان له رحمه الله دورٌ اجتماعيٌّ متميّزٌ بين أخوته وأبناء محلّته؛ فهو أحدُ وُجهاء المنطقة، الذي يُرجع إليه في فضِّ الخلافاتِ والنزاعات، لما تحقَّقَ فيه من رُجحانِ العقلِ والقدرة على استيعابِ المشكلة وإيجاد الحلول اللازمة لها، فضلا عن روح الأبوّة والشّفقة والرّحمة التي كان يحملها لعُموم أبناء المنطقة وغيرهم.



علاوة على دوره الاجتماعيّ، كانَ له دورٌ جهاديٌّ بارزٌ شَهِدَ له به العدوُّ قبلَ الصديق؛ فهو أحدُ قادة الانتفاضةِ الشعبانيّةِ المباركة عام (١٩٩١م)؛ إذ واجه وقتها أزلامَ البعثِ الظالم، وغَنِمَ مدرَّعةً من مدرَّعات الحَرَسِ الجمهوريّ، وجَلَبها معه إلى منطقة سكناه، ولكن، بعد إفشال الطغاة من الداخل والخارج للانتفاضة، وعودةِ سيطرةِ النظام الصداميّ المجرم، وُشي به، فصدرَ عليه حكمٌ غيابيٌّ بالإعدام، فتخفّى عن السلطة خارجَ البصرة، فداهَمَ مرتزقةُ النظام دارَ الشهيد، واعتقلَ جميعَ أفراد الأسرة، وخُيِّرَ بين أن يسلمَ نفسَه وبينَ أن يبقى هؤلاء في السّجن والإذلال والتعذيب حتّى الموت من قِبل الجَلاوزة، فاضطرّ الشهيدُ إلى أن يسلِّمَ نفسَه، وتمَّ الإفراجُ عن عائلته إلّا ولده البِكر رياض؛ لأنّه شارك أيضا مع والده في الانتفاضةِ المباركة، وتعرّضَ الاثنان إلى أنواعِ التعذيب، وقضى ما يقارب السنتين في سُجون النظام البائد.

ذَكرَ ابنُ الشهيد رحمه الله أنّه لم يعلم عن أبيه أيَّ شيء طِوال هذه المدّة، وبعد خروجه من المُعتقَل، لم نتعرَّف عليه؛ بسبب ما لاقاه من التعذيب؛ إذ جاءوا به محمولاً (ببطانيّة)؛ لأنّهم كسروا أضلاعه، ورضّوا جسده.

وأمّا ملامحُ وجهه، فقد تغيَّرَت بالكليّة؛ إذ كان الجلاوزةُ الظلمةُ يُدخلونَه في برميلٍ فيه جمرٌ ملتهبٌ من بقايا إطارات العَجلات، من أجل أن يقرَّ لهم بمعلومات عن المجاهدين وأسمائهم، لكنَّ اللّهَ ربطَ على قلبه، ورزقَه الصبرَ على الرُّغم من آلامِ وويلاتِ ما لاقاه في السّجن، فلم يُدْلِ بأيِّ شيء.

وفي أثناء التعذيب، توجَّه له سبحانَه وتعالى بالدعاء، جاعلاً شفيعَه في طلبه جاهَ الإمام الحُسين عليه السلام، وكان الطلبُ أن لا يرفع صوتَه بكلمة (آخ) أبدا، مهما كان التعذيبُ شديدا؛ حتّى لا يشمُت به أعداءُ آل البيت وأعداءُ الإنسانيّة، وقد تمَّ له ما طَلبَ، واستجابَ اللّهُ له دعاءَه.

تنقَّلَ الشهيدُ بعد الإفراج عنه بين أماكنَ عدَّةٍ خارجَ البصرة وداخلَها ؛ بسبب ملاحقة مرتزقة البعث الظالم، لهذا، إضطرَّ إلى استخدام عدّة أسماء وهويّات وهميَّة، وبعد أن فرَّجَ اللّهُ تعالى عن عبيده بانهدام نظام صدّام، عادَ الشهيدُ إلى السّكن الأصليِّ في البصرة.

وذكر ابنُ الشهيد أيضا أنّه تعرّض إلى عدّة عمليّات

جراحيّة بسبب تعذيب النظام السابق له، منها: عملية في العمود الفقريّ.

وقد استشهد أحدُ أخوته في هذا الدّرب، وهو الشهيد ناصر مَنخي جودة العيساويّ.

ورغم كِبَر سنِّ الشهيد، ورغمَ ما خلّفه التعذيبُ من مخلّفاتٍ وآلامٍ وعاهاتٍ، إلّا أنّه لم يتوقّف عن ممارسة الشّعائر الحسينيّة، ومنها: المشيُ إلى تُربة سيّد الشهداء عليه السلام من البصرة؛ لأنّه كان مؤمناً بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام .

كانَ ساعياً للخير، وفاعلا له في السرّ وفي العَلَن، مُقتدياً بالصالحين، مؤثِراً غيره على نفسه، حتى أنّه جادَ بسند (طابو) بيته لحَلحَلة أحدِ النزاعات، لذا، أحبَّهُ الناسُ، وتأثّروا به، وقد رآه أحدُ المؤمنين بعد استشهاده في المنام، فرآه جالسا في منطقة خَضراء، وبين يديه أطباق (صفاري) يوزِّع منها الطعامَ على الناس .

بعد سماع شهيدنا الغالي الفتوى المباركةَ بالجهاد الكفائيّ، والأحداث التي أعقبَتها، شبَّهَها بمَعركةِ الطفِّ، وشبَّه المعسكَرَين بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام ومعسكر يزيدٍ عليه اللعنةُ، فنهضَ بجَمعٍ من المؤمنين المتدرّبين، وشكّل سريّةً أسماها سريّة (حبيب بن مظاهر رضي الله عنه)، وأطلق المجاهدون عليه اسم (حبيب)؛ لدوره القياديّ، وشجاعته، وكِبَرِ سنِّه .

كان الشهيدُ يجيدُ استخدامَ أنواعٍ متعدّدة من الأسلحة؛ فهو متدرِّبٌ من الطّرازِ الأوّل، خاصّةً سلاح القاذفة ، ويذكر أنّه في يوم من الأيّام تعرّض إلى رصاصِ قنّاصٍ من داخل بناية (بيتونة) ، فزحفَ الشهيدُ نحوَ مصدر الإطلاق، حاملا القاذفةَ معه، وأطلقَ صاروخاً أدخله من النافذة، فقتل الرِّجسَ في الحال .

شاركَ الشهيدُ في عدّة مناطق، منها: منطقةُ اليوسفيّة، ومنطقةُ سيّد محمّد، وسامرّاء، والزلاية ، ومكيشيفة، والعوينات، والدُّور، والعَلَم، وجُرفُ الصّخر، حيث تعرَّضَ إلى إصابة فيها، إلّا أنّه رفضَ الإخلاءَ، ولم ينسحب من أرض المعركة؛ فقد كان قائدَ السريّة، وعندما ينسحبُ القائدُ، تضعُفُ الروحُ القتاليّةُ لأفرادها، فرابطَ مع رفاقه رافضا الانسحاب.

كان يحملُ روحاً جهاديّة عزَّ نظيرُها؛ فقد ذكر ابنُ الشهيد أنَّ والدَه كان في معركة (مكيشيفة)، وكان ابنُه الآخرُ (ضياء) مقاتلا أيضا في الأنبار، وقد اتّصل به رفاقُه هاتفيّاً ليخبروه بنبأ استشهاد أخيه على أثر إصابةٍ بالغةٍ بسبب عُبوةٍ ناسفةٍ، فلمّا رآه، وجده مقطوعَ اليد، مقطَّع الأحشاء، مصابا في ساقه اليُسرى وعينيه، فاتّصل بوالده، وأخبره بحاله، وباحتمال مفارقته للحياة جرّاء إصابته الشديدة، فأجابَه والدُه



بأنَّه وسط معركة، وبأنّه سيأتي لرؤيته بعد انتهائها، فلمّا انتهت المعركةُ، حضرَ عند ابنه، ورآه مقطوعَ اليد، فصفَقَ راحتيه متألّما متحسّرا قائلا: «أسفي عليك، لن تستطيع أن تقاتل».

كلمةٌ ما أعظمَها، وما أعظمَ الروحَ التي انطلقَت منها، أيُّ روحٍ هذه تتأسَّفُ على عدم قدرة ابنٍ على مواصلة القتالِ لا على اليد المقطوعة؟!

كانَ الشهيدُ يحملُ أكثر من سلاحٍ أثناء المعركة، وقد خلَّفَ هذا جرحاً في كتفه؛ لأنّه كان ضعيف البُنية؛ بسبب تعذيب النظام البائد، وكِبَرِ السنّ.

وفي آخرِ التحاقٍ له بجَبهات العزّة والكرامة، قامَ هو ومجموعتُه بهجومٍ لتحريرِ الأراضي من دَنَس داعشَ وأرجاسِها، فحرَّروها، ولم يبقَ إلّا الساتر الأخير، فقامَ الشهيد في الساعة الحادية عشر ليلاً بالذهاب إلى مكانِ العدوِّ والاستطلاع، ثمّ رجع، فتقدّم مع مجموعة من المجاهدين للسيطرة على هذا الساتر، وكانَ الشهيدُ في مقدّمة المجاهدين، فتسلَّلت المجموعة إلى داخل شقٍّ قد حفرَه الدواعشُ، إلّا أنَّ هؤلاءِ الأرجاس كانوا قد نصبوا لهم كميناً داخلَ حُفرة في النّفق دون علمهم، فحدث الاشتباكُ، وجُرح الشهيدُ، ولكنْ، لم يكن بالإمكان إخلاءُ الجَرحى والشّهداء؛ بسبب الاشتباك وشدّته، وبعدها أصيب ابنُه الشهيدُ رياض ، واستمرَّ الاشتباكُ إلى الليل.

أمّاولدُهالشهيدُرياضخنصرمنخيالعيساويّ،فقدوُلد فيمدينةالبصرة،فيحيّالحسين عليه السلام (الحيانية) سابقاً في عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، درسَ الابتدائيّةَ في مدرسة (١ آذار)، والمتوسّطة في مدرسة (٨ شباط)، وهومتزوّج ولديه خمسةُ أولاد.

تربّى في أحضان عائلةٍ مؤمنةٍ مُضحّيةٍ صابرةٍ مجاهدةٍ مقارعةٍ لأعتى نظامٍ شهدَه العراقُ في الفترة الأخيرة، أعطت الكثيرَ من التضحياتِ على طريقِ الحقِّ والوقوفِ بوجهِ الظّلم في أيّام الانتفاضة الشعبانيّةِ المبارَكة؛ فقد كان والدُ الشهيد أحدَ قادة الانتفاضة الشعبانيّة في محافظة البصرة كما تقدّم ، بل حتّى أمُّه شاركت زوجَها حملَه السلاحَ بوجه البعث والبعثيّين تلكَ الأيّام.

كانَ للشهيدِ رياضٍ أيضا دورُه البطوليُّ في الانتفاضة إلى جَنب والدَيه؛ لذا، تعرَّضَ إلى الاعتقالِ بعد عودة النظام الصداميِّ وسيطرته على الأوضاع، فسُجن في سجن أبي غريب في بغداد ثمانية سنوات، وقبل سقوطِ النظام الصداميِّ الظالم، تمَّ الافراجُ عنه، إلّا أنَّه بَقيَ تحتَ أنظارِ جَلاوزة البعثِ وعبدتِه، فاضطرَّ إلى الهجرة من البصرة إلى العِمارة.

لمْ يطُل بقاؤه وعائلتُه في العمارة؛ إذ تركها هي الأخرى بعد تجفيف الأهوار من قِبل النظام الطاغوتيّ السابق، ليهاجرَ إلى الكوت، التي عمل فيها مع والده في مهنة الزراعة، ليتخفَّوا عن أنظار السّلطة وجلاوزتها.

إلتحقَ رحمه الله بعدها مضطرّا بالخدمة العسكريّة، إلّا أنَّه تمَّ سجنُه داخل الوحدة العسكريّة؛ إذ عُدَّ هارباً من الخدمة العسكريّة على الرّغم من كونه في تلك المدّة في السجن، وعلى الرغم من تقديمه لمقتَبَس الحكم.

بقي في السجن إلى حين سقوط النظام بتاريخ (٢٠٠٣/٣/٢٠م)، وبعدها دخلَ في السّلك العسكريّ في وزارة الدفاع ، فتلقّى التدريبَ العسكريَّ في قاعدة كَركوش في محافظة ديالى، ومُنحَ بعدَها رُتبةَ نقيب، ثمّ أصبح في صنفِ الاستخبارات، في الفرقةِ الرابعة في



محافظة صلاح الدين ، وبعدَ تدنيسِ الدواعشِ الأرجاسِ لأرضِ الوطنِ، وبعدَ الخيانات التي مُنيت بها صفوفُ الجيش وقادتُها، قرّرَ تركَ الجيش والالتحاقَ بقوّات الحشد الشعبيّ المبارك، فانضمّ إلى السريّة التي أسّسها والدُه بصنف الإسناد؛ إذ كان ذا خبرة قتاليّة في هذا المجال؛ فقد كان يجيدُ استخدامَ سلاح (الأحاديّة) .

عُرفَ الشهيدُ بتديُّنِه، وبمحبّته لأهلِ البَيت عليهم السلام، وبمساعدته للآخرين ، شاركَ في خدمة المواكبِ الحسينيَّة ، وكان من المواظبينَ على الصّلاة في المساجد، والحضورِ في حسينيّة البهادل في منطقة حيّ الحسين عليه السلام، يحيي الشعائرَ الحسينيّة.

وعُرف ـ أيضا ـ في ساحاتِ الجهاد بصلابته، وشجاعته، وقوّته في ذاتِ الله، وتفانيه في سبيله تعالى؛ فقد ذَكرَ لنا أخُ الشهيد أنَّ حالةَ رياضٍ رحمه الله المادّيّةَ كانت قد ساءت كثيرا في الفترة الأخيرة بسبب تركه السلكَ العسكريَّ، الأمرُ الذي اضطرّه إلى أن يسكن في دار أقيمت على أرضِ الدولة، لم تصمد أمامَ المَطر في فصل الشتاء، فسقط سقفُها، وكان هذا قبلَ التحاقه، إلّا أنَّ الحادثةَ تلكَ لم تمنعه من الالتحاقِ، فاتّصل بأخيه الأصغرِ طالبا منه أن ينقل عائلتَه إلى بيته، وأوصاه بأطفاله، ليلتحقَ بأخوته المجاهدينَ في منطقة الثَّرثار.

شاركَ في عدّة معارك، منها: مكيشيفة، والزلاية، والدور، والإسحاقيّ، والعَلَم، وأخيراً قاطع الثَّرثار، الذي كان فيه شهادتُه مع والده رحمه الله، حيثُ جُرح هو ووالدُه، وبقيا في وَسط المعركةِ عُرضةً لرَصاص الأعداء، لا يستطيعُ المجاهدون إخلاءَهما بسبب كثافَةِ النار وشدَّة المعرَكة.

يُذكرُ أنَّ أحدَ المجاهدينَ الذين كانوا مع الشهيد رياضٍ حالةَ الجرح قال له في آخر لحَظاته: أنا عطشان، فأجابه الشهيد رحمه الله: إنتظر، بعد قليل يسقينا الحسين عليه السلام. فارتفَعت روحاهما الزاكيتان بتاريخ (٢٠١٦/١/١٣م).

تلقّى ذووهما نبأ استشهادهما بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ

بما نالاه من منزلةٍ عظيمةٍ، حتّى أنَّ صاحبتَي المصاب (الزوجة والأمّ) كانتا تقولان بعد الاسترجاع والتسليم: «فداءً للزَّهراء، فداءً للحسين عليه السلام».

أُخليت جثامينُ الشهداء الطاهرةُ بعد انتهاء المعارك، واستُقبلَ جثمانُ الأبِ والابنِ في سَيطرةِ بوّابة البصرة الرئيسيّة على الطريق السّريع استقبالا مَهيباً يليقُ بهما ، وحضرَ تشييعَهما شخصيّاتٌ دينيّةٌ وعشائريّةٌ وأعيانُ المحافظة، وكانَ التشييعُ على شكل زفّةِ عُرس.

هذه هي مدرسةُ الزهراء عليها السلام، وهذه هي مدرسةُ الحسين عليه السلام، وهؤلاءِ تلاميذُ هذه المدرسةِ المباركةِ، أبٌ لم يَرَ من الوطن الذي منحَه دمَه وفلذةَ كبده غيرَ الألمِ والتعذيبِ والنفيِ والعاهاتِ والأمراض، إبنٌ ما ذاقَ طعمَ الراحةِ والهناءِ في وطنه، بل ذاقَ طعمَ الألمِ والسّجنِ والتعذيب، حتّى أنّه لم يكن يمتلك من هذا الوطن شبراً، وحتّى البيتُ الذي كان يسكنُه بلا سقفٍ بعدَ أن سَقطَ بسببِ المَطر لم يكن له، مع هذا كلِّه، إلتحقَ ليطردَ الذلَّ والعارَ والرّجسَ عن وَطنه، عن بيوتٍ يملكُها غيرُه.

وأمّا الأمُّ، فهي تلميذةٌ بامتياز للزّهراء ولابنتها زينب عليها السلام، أمٌّ قاوَمت الظلمَ والطغيانَ، حتّى أنَّها شاركت في العمل الجهاديِّ أيّامَ الانتفاضة الشعبانيّة المباركة، وذاقت من السّجون وذلهِّا وآلامها ما ذاقت.



وأمّا الزوجةُ، فهي الأخرى تلميذةٌ متفوّقةٌ في مدرسة آلِ البيت عليهم السلام، رغمَ جميع ما عانته معَ زوجها من ظلمِ الطواغيتِ وسجونهم وتعذيبهم، تراها تواصلُ الدّربَ معَه، لا تؤنّبُه حينَ تَركها وأولادَها بلا سَقف، ولا تتذمَّرُ حين غادرَها إلى الجبهة بلا مالٍ تعيلُ به أولادَها، حتّى إذا عادَ شهيدا، لم يَفُتَّ ذلك في عَضُدِها، ولا ثلَمَ من صبرها، بل قالت: «فداءٌ للزهراء عليها السلام»، «فداءٌ للحُسين عليه السلام».

لم أَخَلْ أنّني سألتقي يوماً نموذجاً من هذا الإنسان، حَسبتُ أنّه انقرَضَ من زَمنٍ طويل، وكنتُ أقول في نفسي: لا



يمكنُ أن يكون موجودا، أينَ يمكنُ أن يكونَ موجودا؟ ! من أينَ سيأتي وها نحنُ نعيشُ الفسادَ والظلمَ والألمَ في كلِّ مفاصلِ حياتنا؟! كيفَ يمكنُ له أن ينشأَ ويعيشَ ويستمرَّ في التنفُّس في هذه البيئةِ المريضةِ التي نراها كلَّ يوم في هذه الحياة؟! كيفَ له أن يقاومَ كلَّ هذه الظروف القاهرة؟!

وإذا بي أكتشف أنّني كنتُ على خَطأ فاحشٍ، وأنَّ هناكَ أُناسا اختصَّهم اللّهُ تعالى لدينه، واختارَهم للدفاعِ عن المذهب الحقِّ، وانتخَبَهم ليكونوا الحُماةَ في هذا الزّمن الأسود.

هم موجودون واللّه، هم موجودون هنا في عراقِ المقدَّسات، ها هم، ألا تراهم؟ ! الأبُ والابنُ شهيدان، والأمُّ والزوجةُ شاهدان.

نحمدُك اللهمَّ ونشكرُك على هذه النّعمة العظيمة، نعمةٌ تستحقُّ الشكر كلّه، الحمدُ للّه ربِّ العالمين، ونسأله أن يكون الشهداء خيرَ الشُّفعاء لنا يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى اللّه بقلب سَليم.

الهوامش

١- القصص: ٥- ٦.

٢- بحار الأنوار: ج٩، ص٢٤٩.

٣- الأنبياء: ١٠٥.

٤- البقرة: ٣٠.

٥- أخرجه أبو داود والترمذي، قال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ . ومنهم العلّامة جمال الدين، محمد بن مَكرَم الأنصاريّ في (مختصر تاريخ مدينة دمشق)، ج ٦، ص ٤٩.

بريد الخطوة

بعد الدعاء لكم بالتوفيق والنجاح

تسلّمتُ بشغفٍ مجلةَ (الخطوة)، التي تحمل في طيَّاتها رائحة المسك والعنبر من تراثنا الماضي المغيَّب، نشدُّ على أيديكم، وندعوا لكم بالسَّداد في هذه المهمة العظيمة.

الإعلامي: سجّاد تراب

الإعلاميُّ المبدع (سجّاد تراب)، تلقّينا رسالتَكم الموقرة ببالغ المحبّة والاعتزاز، كلّ الشكر لمتابعتكم المتميّزة لمجلّتكم (الخطوة)، نسأل الله أن يوفّقكم بعملكم خدمة للبصرة الحبيبة.

هيأة تحرير مجلّة الخطوة

كلُّ أمةٍ تحدّدُ هويتها من تراثِها، ففي البصرة أنتم هويةُ التراث، وحلقةِ الوصلِ بين الماضي والمستقبل، من خلال ما تقدّمونه في مجلّتنا (الخطوة)، بوركتم، ووفّقتم لكلّ خير إن شاء الله .

الإعلامي : حيدر الخفاجي

الإعلاميّ الاستاذ حيدر الخفاجيّ: تلقّينا ببالغ الاعتزاز والسرور رسالتَكم الكريمة، ونحن في الوقت الذي نشكر تواصلكم الدائم مع مجلّتكم (الخطوة) ومتابعتكم الدقيقة لمواضيعها ، نرجوكم المشاركة الفاعلة في أبواب المجلَّة؛ لنزداد عطاءً وخدمة لبصرتنا الحبيبة، والله الموفق لكل خير.

هيأة تحرير مجلّة الخطوة

السلام عليكم بجوامع السلام ...

بينما تتقلّب أيدينا بين صفحات (مجلّة الخطوة)

نستذكر فيها إرث الأنبياء، و فكر الأئمّة، و نهج الأولياء، و سبيل الصلحاء ، درب من مرّوا إلى عنان السماء .

فعلّواً ثم سمّواً لمركز تراث البصرة الفيحاء.

علاء الكعبي

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته: الاعلاميّ المبدع علاء الكعبي: تلقّينا باعتزاز وسرور كبيرين رسالتكم الموقّرة، وشكرا لمتابعتكم المتميزة لمواضيع الخطوة.

نرجوكم المساهمة الفاعلة في رفد المجلّة، راجين لكم التوفيق الدائم والنجاح في عملكم؛ خدمة للبصرة وتراثها الزاخر

هيأة تحرير مجلّة الخطوة



التِفاتة

إنَّنا في (الخُطوة) نسعَدُ بالنّقدِ البنّاءِ، الذي يكون الناقدُ فيه متخصِّصاً يقومُ على دِراسةٍ تخصُّصيّة تهدف للبحث عن الحقيقةِ المجرّدةِ، وإصلاحِ العملِ، وتحسينِه، والارتقاءِ بمستواه الى مرحَلةٍ أفضلَ ، بأن يكونَ هذا النقدُ من نوعِ الحِوارِ العلميِّ الهادفِ، والردِّ المنطقيِّ، الذي يركّزُ على إيجابياتِ الفكرةِ، وتوضيحِ سلبيّاتها، فالنقدُ مرحلةٌ من مراحل العَمَل والإنجاز الفنيِّ الصحيح الهادف.

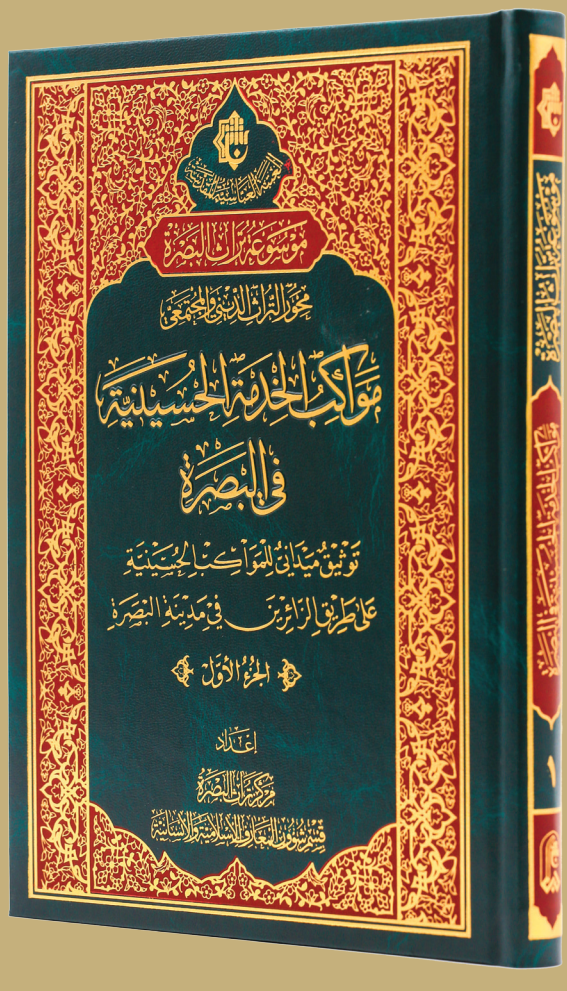
مُبتغانا خِدمةُ البَصرَةِ الحبيبةِ من باب تسليط الضّوء على كنوزها الثقافيّة وتراثِها العلميّ الثّر، وما أحوجَ البصريّين لبعضهم البعض في هذا السبيل؛ فهذا الطريق لا يمشى فيه بانفراد، وإنّما مجتمعينَ متكاتفينَ، واضعين كلَّ جهودنا معا، ويبقى التّوفيقُ كلُّه منه تعالى لمن جَدَّ واجتهد، وكانَت جهودُه خالصةً لوجهه الكريم.

وهذه يدُنا نمدُّها لكلِّ من أرادَ بالبصرة وتراثِها خَيرا، فهو واجبُنا وواجبُ الجميع، ونسأله تعالى السداد للجميع.

• مدير التحرير



لوحة فنيّة للخطاط نديم البصري تتضمّن الآية (٥٠) من سورة ص المباركة.



صدر عن مركز تراث البصرة

الجزء الأوّل من كتاب

مواكب الخدمة الحسينيّة في البصرة